روايات أعازيف للجيب

(١) رحلة الخلاص

كريم محمد علي

روايات أعازيف للجيب

العدد (١): رحلة الخلاص - كريم محمد علي

الطبعة الثانية: أغسطس ٢٠١٦

تصميم الغلاف: محمد مجدي

تدقيق لغوي وتنسيق داخلي: إسلام علي

مدير النشر: هند عبد الله (نور مانجا)

المدير العام: رباب الشهاوي

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠١٦/٢٦٢٠٦

سلسلة (أعازيف) عربية مئة في المائة، ولا تشوبها شبهة الترجمة أو النقل. تصدر بشكل شبه دوري عن دار الفؤاد للنشر والتوزيع.

Alfouad_publishing@hotmail.com
facebook.com/fouadpublishing





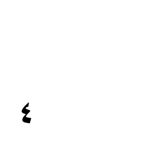
روايات أعازيف للجيب

العدد (1)

رحلة الخلاص

كريم محمد علي





♥ إهداء ♥

أحب أن أهدي روايتي الأولى إلى أبي . . أروع رجل على وجه الأرض.

وأمي التي هي أجمل نساء الأرض.

وإلى صديقة كفاحي، عسى أن تجمعنا الأيام للأبد . . (ولاء) .

وإلى صديق طفولتي الذي ساندني على الدوام في سعادتي وشقائي . . (محمد جمال) .

وأخيرًا، إلى صانع السعادة وشريكي في معركتنا الأزلية ضد النحس السرمدي . . (إسلام علي) .

وَمِنْ عَبقَر رَأيْنَا المَوْتَ يَأتِينَا

بِأخْيِلةٍ كأنَّ عُيُونِها الجَانُ

وأُنْذِرنَا بِرِيحِ الهَوْلِ تعْصِفُنَا

بِرَائِحَةٍ بِلحْمِ القَوْمِ تزْدَانُ

وسَعْلاتِي تجُوبُ القَفْرَ تمْكِينَا

أعَازِيفَ أصَابَتْ رَأسَ ولْدانِ

فَمَا عَادَتْ عُيُونُ النَومِ تدرِكُنَا

وَمَن يَأمَنْ وفِينَا صَوْتُ غِيلانِ!؟

الأبيات لـ إلهامي مجدي

أنا X العالم!

كريم محمد علي

(1)

حدِّق في السقف...
فهو الشيء الوحيد الباقي لك...
لا تسأل عن عائلتك؛ لأنك لا تتذكر أي شيء عنهم...
لا تسأل عن أصدقائك؛ فهم قد رحلوا وتركوك...
لا تسأل عن حبيبتك؛ فهي لن تصبح ملكك...
أنت وحيد.. وليس لديك أي طريقة في يدك لتمنع ذلك...
ستصرخ.. ستبكي.. ستحطم كل شيء... ولكن هذا لن يُخرجك من هذا الجحيم.
أنت أكثر إنسان منبوذ على وجه الأرض...
"مرحبًا بك في الجحيم!"
جملة اعتدت أن أقولها لنفسي كل يوم أعود فيه من جامعتي، وكل يوم أستيقظ فيه من نومي...
لم أكن يومًا كأقراني؛ كنتُ مختلفًا عنهم في كل شيء تقريبًا؛ ميولي وتفكيري، لذلك كنت وحدي. مثلاً في المدرج الخاص بجامعتي، كل الموجودين فيه مجموعة من الخراف يحاولون التظاهر بأنهم بشر، وكلهم في كل محاضرة ينظرون في ملل إلى كل أستاذ يتحدث من خلال الميكروفون بغض النظر عن مادته. وما أقسى تلك الوحدة؛ أن ترى كل أقرانك لديهم من يهتم بهم، ويفرح من أجلهم ويحزن. أرمق كل هذا في صمت، وأقول في

تفاؤل: "حسنًا.. غدًا سأكون صديقًا للعالم بأكمله".. ولكن (غدًا) هذا لا يأتي أبدًا.

الأيام وما أدراك ما الأيام! كئيبة مملة محفوظة، كأنها شريط سينمائي يعاد كل يوم. أذهب إلى الجامعة صباحًا، وأعود للمنزل لألقي نفسي فوق السرير، وأحدق في السقف بالساعات أحاول أن أتذكر أي شيء عن عائلتي، ولكن لا أستطيع؛ جزء كبير خاص بعائلتي مختف من ذاكرتي. من هم عائلتي؟ كم عددهم؟ أين هم الآن؟ هل هم على قيد الحياة؟ كل يوم أسأل نفسي كل تلك الأسئلة، ولا أجد إجابة فأنام من كثرة التعب والإرهاق. وعندما أنام يبدأ جحيمي الآخر: الأحلام. تارة أجد نفسي محاطًا بمجموعة من الجنود المكونين من الرمال، وتارة أجد نفسي محاطًا بضباب غريب وكثيف يحاول أن يبتلعني، وفي نهاية كل حلم أجد ذاك الرجل الغريب قوي البنية وقح النظرات، ينظر إليّ ويبتسم في غرور. كل ليلة على هذا الحال حتى مللت، وحفظت ما سأراه في أحلامي.

وكما قلت سابقًا، أيامي تتكرر كل يوم، ولا يوجد أي جديد. لا أتحدث، لا أضحك، لا أرفع عينيّ عن الأرض، آكل لقيمات قليلة كل يوم لأنني زهدت كل الطعام، وأعود إلى المنزل لأنام وأستيقظ وأذهب للجامعة و... إلخ. واقع طويل مرير أعيشه لا فرار منه على الإطلاق.

ثم بدأ كل شيء فجأة!

استيقظت من نومي، وظللت أرمق السقف عدة دقائق أقاوم غثيانى، وأنا ألعن نفسي لأني لا أريد أن أبدأ يومًا آخر. وضعت النظارة على عينيّ لتتضح الرؤية بعض الشيء. الغرفة مظلمة وباردة؛ بالطبع لأنني أغلق كل نوافذ المنزل، وأيضًا لأننا في شهر ديسمبر. نهضت وفعلت كل طقوس الاستيقاظ من النوم، ثم ارتديت ملابسي وذهبت إلى الجامعة.. عندها صُعِقت لما رأيته من منظر...

رأيت الحياة في عينيّ بالأبيض والأسود.. كل شيء أراه يمر من أمامي بالأبيض والأسود، كأنني أرى العالم من منظور تلفاز متهالك وقديم للغاية. أركض بين الناس حتى اعتقدوا أنني جننت. ما هذا الذي يحدث لي!؟ رفعت رأسي للسماء، فوجدت كرة كبيرة لونها أبيض. إذًا هذه الشمس! أنظر للمباني... كلها لونها لون أسود كئيب وكأن المهندسين قد قرروا أن يدهنوا جميع المباني بلون واحد. أي شخص يمر بجانبي ملوَّن بلونين، أبيض وأسود، لا يوجد غير ذلك.

لم يحتمل جهازي العصبي كل هذا الضغط ففقدت الوعي...

استيقظت لأجد نفسي ملقًى على سرير في مستشفى كان جانب منزلي.

ما زال كل شيء بالأبيض والأسود. أرمق السقف.. لونه أسود كئيب لا يُحتمل.. فأتحامل على نفسي وأنظر من النافذة، لأجد أمامي نهر النيل بلونه الأزر... أقصد الرمادي! أعود لسريري.

وبعد تقريبًا خمس دقائق دخلت إلى الغرفة طبيبة أعتقد أنني رأيتها من قبل. نظرت إليّ في شفقة ثم قالت: "حمدًا لله على سلامتك يا (كامل).. لحسن حظك أنني كنت أسير بجانبك عندما فقدت وعيك، فنقلتك هنا بمساعدة بعض المارة"

سألتها بصوت متهالك: "كيف عرفتِ اسمي!؟"

أجابتني في حرج: "كان يجب علينا أن نجد لك أي إثبات شخصية، فاضطررنا لأن نأخذ البطاقة من محفظتك"

أمسكت برأسي في ألم: "أنا لا أذكر أي شيء على الإطلاق.. ولكني لست على ما يرام. عيناي.. هناك خطب ما في عينيّ. أرى كل شيء الآن بالأبيض والأسود. يبدو أنني قد فقدت عقلي أخيرًا!"

هدَّأت من روعي وقالت: "لا تقلق.. كل شيء سيكون على ما يرام.. لا تخش شيئًا. سأصحبك الآن لطبيب العيون ليفحصك ويخبرك أنك بخير"

صمتُّ وتحاملت على نفسي وقمت معها، وذهبنا لقسم العيون. دخلنا للطبيب على الفور، وأخبرَتْه بأن يفحصني، فرد عليها بتهذيب: "حسنًا.. سأفعل ما في وسعي"

نظرت لي وابتسمت وخرجت، ثم نظر هو لي في هدوء: "حسنا يا بطل.. أخبرني... مم تشكو؟"

أخبرته بكل شيء، من نزولي من منزلي حتى فقداني للوعي. بدت على وجهه علامات الانهماك، ثم طلب مني من أن أضع

عيني على عدسة في جهاز كبير، وبدأ الفحص. وعندما انتهى أخبرني بأنه ليس هناك أي شيء خاطئ في عيني، باستثناء موضوع النظارة الخاصة بي، وكتب لي بعض الفيتامينات، وطلب مني أن أستمر عليها فترة ثم أعود له مجددًا.
خرجت من المستشفى مبلبل الأفكار، لا أعرف ما الذي يحدث لي. عدت لمنزلي، وألقيت نفسي فوق سريري، لأحدق في السقف وأفكر في موضوع تلك الرؤية الغريبة التي صارت تلازمني. لم أكن أعرف عندها أن موضوع الرؤية هذا لم يكن سوى بداية جحيم لم أكن أعرف أنه موجود.
مرت الأيام سريعًا، واعتدت تلك الرؤية الغريبة التي لا أعرف ما مصدرها حتى الآن. ثم جاءت المفاجأة الأخرى!
عادةً عندما أفتح باب منزلي عند الدخول، أضيء الأنوار من مفتاح بجانب الباب، وتكون الأريكة أمامي، والطريق إلى المطبخ على يميني، وغرفة نومي على يساري، وكرسي كبير أجلس عليه دائمًا عندما أدخل لأستريح. عندما دخلت الآن إلى المنزل وأضأت الأنوار، وجدت جثة على الأريكة. كيف عرفت أنها جثة؟ لأنه لا يوجد شخص حي متحلل لتلك الدرجة! جثة سوداء متعفنة على وشك التحول إلى تراب. لم أعرف ماذا أفعل. ظللتُ متجمدًا في مكاني لخمس دقائق تقريبًا، ولا أحرِّك عضلة من جسدي. هذه جثة على أريكتي! ولكن لماذا أنا بهذا الهدوء!؟ لا أعرف، ولكني أعتقد أنها لعبة من ألاعيب الجسم الدفاعية.

ولكن هناك شيئًا آخر. لماذا أشعر بأنني رأيت هذا المنظر من قبل!؟ لا أعرف ولكن مظهر تلك الجثة مألوف. أعتقد أن صاحب تلك الجثة مات عن طريق عنكبوت عملاق سحب الحياة من داخله وخارجه.. لا أعرف. هل أبلغ الشرطة؟ سأثير الكثير من التساؤلات، ومن الممكن أن أُحبس. لا أعرف.. دبِّرني يا إلهي!

(2)

إنـها تتحرك!!

أكاد أقسم على هذا. حركة بطيئة نسبيًا، ولكنها بالفعل تتحرك لأعلى وكأن شيئًا يحرِّكها مثل عرائس الماريونت. تحفزت في مكاني وأنا أتوقع الأسوأ. وبعد ثوانٍ قليلة، وبدون سابق إنذار، تحركت الجثة بسرعة شديدة، لترتطم بالحائط وتتحول إلى رماد!

تسمرتُ في مكاني، حتى سمعت صوت دقات على باب منزلي. فتحتُ الباب لأجد مدام (ناهد) جارتي، وعلى وجهها علامات القلق. قالت وهي تحاول أن تنظر إلى الداخل لترى ماذا يحدث:

"(كامل).. هل أنت بخير؟ لقد سمعتُ صوت تحطم شيءٍ ما، لذلك جئتُ لأعرف ماذا حدث"

- " أنا بخير.. المزهرية الحمقاء سقطت مني وأنا أنظفها"

بدا على وجهها عدم الاقتناع، ثم ابتسمت ورحلت. تنفستُ الصعداء وحاولت أن أزيح هذا الرماد.

ولكن بعد ذلك، أصبح وجود جثة على أريكة منزلي أمرًا طبيعيًا يجب أن أراه كل يوم.

كل يوم نفس هذا المنظر البشع.. الجثة المتحللة على أريكة المنزل، ورأسها ناحية غرفتي كأنها تنظر لي، ثم ترتفع وتتوقف للحظة في الهواء، ثم تتحرك بسرعة شديدة ناحية الجدار، فترتطم به وتتحول لرماد، حتى أن آخر جثة كانت موجودة على

الأريكة، عندما تحولت لرماد، سقط معها عقد طويل آخره اسم (رامي) مزخرف بشكل عجيب.
أين رأيت هذا العقد من قبل؟ لا أذكر تقريبًا. اللعنة! نعم إنه العقد الخاص بمدام (ناهد).. هذا يعني أن تلك الجثة كانت...
عندما عرفتُ صاحبة تلك الجثة، ركضت لآخذ العقد، وخرجت سريعًا من المنزل وأغلقت الباب، وظللت أركض حتى انقطع نفسي، فجلست بجوار نهر النيل لأسترد أنفاسي وأستوعب ما حدث في المنزل...
أخرجت العقد من جيبي في بطء، ونظرت له. أزحتُ كل الرماد عنه وأنا مشمئز من كون ذلك الرماد أتى من جثة ما، ثم نظرت له وتحسسته لأتأكد أن هذا الذي حدث في منزلي كان حقيقيًا. لقد ماتت مدام (ناهد)! وأعتقد أنها ماتت مَيْتة بشعة. حاولت أن أتذكر شكلها وهي تبتسم، أو وهي تكلمني، ولكنني لم أستطع التذكر. ألقيت العقد بأقصى قوة لدي إلى نهر النيل، ليختفي آخر دليل على وجود مدام (ناهد)، ثم قررت أنني لن أعود للمنزل لشهر كامل مقبل. لذلك ذهبت لأجلس على مقهى في السيدة زينب. يا إلهي كم أعشق تلك المنطقة! طلبت كوبًا كبيرًا من القهوة لأنني مرهق ولم أنم طوال اليوم. وظللتُ أراقب الناس.. صديقان ماران من أمامي وهما يضحكان ولا يهتمان بأي شيء مما يدور حولهم.. راقبتهم وابتسمت.. عائلة كبيرة تمر من أمامي، مكونة من أب سعيد يبدو واثقًا من نفسه، وأم ممتلئة

للغاية وجهها بشوش، ذكرتني بعمتي رحمها الله، وفتاة صغيرة السن أخذت معظم جمالها من الأم.. تنهدت ثم تناولت فنجان قهوتي، ورشفت رشفة كبيرة منه، وظللت أراقب الناس. ومن كثرة التعب خلعت النظارة، ثم أغلقت عينيّ لأريحهما للحظات، فسقطت في بئر النوم العميق...

مرت لحظات ثم فتحت عينيّ، فرأيت أمامي شابًا أعتقد أنه في نفس سني، يرمقني في شفقة، وعندما رآني أفتح عيني، ابتسم لي.

- "يبدو أنك لم تنم منذ فترة طويلة"

- "بالفعل لم أنم منذ الصباح. كم مر من الوقت وأنا هكذا؟"

- "نصف ساعة تقريبًا".

ضحكت: "لكني تقريبًا لم أغمضهما سوى الآن"

- "أنت مرهق ولذلك لم تشعر بالوقت. لماذا لم تذهب إلى منزلك لتستريح؟"

- "يمكنك أن تقول مشاكل تمنعني من الذهاب الآن"

- "مشاكل مع الأسرة؟"

- "لا.. لقد مللت من الوحدة، فقررت أن أنزل لرؤية أي وجه بشري سوى وجهي في المرآة"

مد يده مصافحًا: "(هشام عبد الرحمن).. التحرير"

ارتديت نظارتي لأراه بشكل أفضل، ثم صافحته: "(كامل محمود).. المعادي"

ابتسم وابتسمت، وظللنا نتحدث. عرفت بالصدفة أنه في نفس الجامعة التي أدرس بها. وعندما انتهينا من الحديث كنا قد أصبحنا أصدقاء، حتى أنه قال لي وهو يتثاءب: "لماذا لا تنام عندي الليلة؟ أنا أيضًا أعيش وحدي ومنزلي يكفيني أنا وأنت.. ما رأيك؟"

وجدتها فكرة لا بأس بها على الإطلاق؛ بما أنني لن أعود للمنزل الآن. وافقتُ فابتسم ولم يقل كلمة...

عرفت أن كل ما كنت أحتاجه في حياتي هو الصديق. مكثت عنده في منزله لثلاثين يومًا، تغيرت خلالها فكرتي كلها عن العالم؛ حتى أنني أصبحت أحب التعامل مع البشر بسببه. لم نفترق من وقتها. لاحظوا أنني أتكلم عن إنسان لم يكن له صديق منذ وُلِد تقريبًا، لذلك تغيرت كل حياتي بسببه. نذهب للجامعة سويًا، ونأتي من الجامعة سويًا. كان وحيدًا مثلي، ولكنه يختلف عني في كل شيء. كان وسيمًا، قويًا، واجتماعيًا للغاية، بعكسي أنا تمامًا، وبسببه نسيت أو تناسيت موضوع الرؤية والجثث المتحللة التي أصبحت تجد لذة في أن تظهر في منزلي، وأيضًا جعلني أتحدث مع الفتاة التي أحببتها منذ رأيتها.. (يارا).

من لا يعرف (يارا) فهو تقريبًا لا يعرف نصف الجمال. فتاة ملائكية سمراء قليلاً، كل ما ينقصها هو أجنحة بيضاء حتى ترفرف وتُغرق العالم بجمالها.

وحيدة مثلي، وآتية من عالمي تمامًا. عالم موجود فيه (فاتن

حمامة) و(العندليب) و(كاظم) و(نجاة).. عالم بها سيكون مثاليًا تمامًا.

بعد أن انتهى الشهر، رفض تمامًا أن أرحل، وطلب مني أن أمكث معه على الدوام. ولم أستطع أن أتملص منه، فطلبت على الأقل أن أذهب لإحضار ملابسي، فوافق.

وعندما ذهبت إلى منزلي وفتحت الباب، لم أنس أن ألقي نظرة على الأريكة، ولم أجد شيئًا فوقها، فابتسمت. دخلت إلى غرفتي، وألقيت نظرة على سريري. لقد اشتقت إلى سريري بالفعل، فألقيت نفسي فوقه، وسرعان ما غبت في النوم...

لم أكد أغلق عينيّ في دنيا الواقع، حتى انتقلت إلى ذاك المكان. كان الانتقال سلسًا لم أشعر بأي شيء على الإطلاق. غرفة صغيرة بها نافذة فقط، وجدرانها حمراء مليئة بالنقط السوداء في تناسق غريب. مقعدين، وطاولة صغيرة بينهما، وأنا أجلس على واحد منهما. فتحركتُ من مكاني ناحية النافذة، لأجد أنني أنظر إلى الفراغ. الفراغ الأوليّ الذي لا يوجد أي شيء فيه يميزه. ظللتُ أنظر حتى سمعت صوتًا من خلفي يقول: "كيف حالك يا (كامل)؟"

شعرت بالفزع، ونظرت سريعًا للخلف، لأجد رجلاً في منتصف الثلاثينيات تقريبًا، يرتدي بذلة كاملة.

قلت له: "من أنت؟ ومن أين أتيت؟"

- "لا تخف يا (كامل).. لنقل أنني صديق سابق لوالدك"

- "يجب أن تعذرني؛ لأن حياتي مؤخرًا كانت غريبة غريبة كما لم تكن، لذلك فيجب أن أشعر بالخوف ولو قليلاً"

ابتسم ابتسامة غامضة، ثم قال: "نعم أعرف. الجثث المتحركة التي كلما تدخل بيتك تجدها، والأحلام الغريبة التي تحلم بها، والرجل الغريب الذي يزورك في أحلامك، وتشعر أن هناك شيئًا ميتًا بداخله، والرؤية الأبيض والأسود التي ترى من خلالها منذ أسبوعين. كل هذا أعرفه"

نظرت له وسألته في رعب: "كل هذا ولا تريدني أن أشعر بالخوف!؟ إذًا ما دمتَ تعرف ذلك، هل تعرف لماذا يحدث كل هذا لي؟"

- "أنا الشخص الوحيد في العالم الذي يعرف سبب الذي يحدث لك.. أولاً أنا أُعرف باسم (المندوب). مندوب لشيء يفوق كل عقلك وتفكيرك.. مهمتي هي الحفاظ على التوازن بين الخير والشر في كوكبكم، لهذا أتيت. والدك منذ حوالي ١٣ عامًا اكتشف أشياء قضت على هذا التوازن، وفشل في أن يُصلح كل هذا، فتوصلنا لحل وسط.. ستتم إعادة التوازن كالسابق، ولكن بطريقة مؤقتة؛ حتى يكون لديك أنت القدرة على عدل هذا التوازن مرة أخرى، ولكن بطريقة دائمة كالسابق.. لا يمكنك الهرب من هذا العهد ولا يمكنك الاختباء"

صمت قليلاً ثم سألني: "متى يكون عيد ميلادك؟"

- "أعتقد أنه الأسبوع القادم.. لماذا؟"

- "إذًا عليك أن تتجهز؛ لأن من عيد ميلادك القادم ستتغير حياتك تمامًا. فإذا كانت هناك أي أمور عالقة قبل عيد ميلادك فيجب أن تنهيها سريعًا.... حسنًا يبدو أن وقتنا هنا قد نفذ.. سأراك مجددًا!"

فتحت عينيّ في بطء، على صوت هاتفي وهو يرن.

تقريبًا تلك هي المرة الأولى التي يرن فيها هاتفي منذ اشتريته.. نظرت إلى الساعة، وجدتها الثالثة! اللعنة! هذا يعني أنني نمت 12 ساعة تقريبًا! تثاءبت، ثم ارتديت خفي وخرجت إلى الصالة سريعًا لأرد على الهاتف، وكنت سأجلس على الأريكة تلقائيًا، ولكني تذكرت موضوع الجثث فابتعدت عنها سريعًا ورددت.

- "ألو.."

صوت أنثوي: "ألو.. (كامل)؟"

- "نعم.. من المتحدث؟"

- "أنا (يارا) يا (كامل).. كيف حالك؟"

- "أنا بخير.. ولكن آسف، من أين أتيتِ برقم هاتفي؟"

بدا على صوتها بعض الضيق، وأجابتني: "آسفة على الإزعاج، ولكن كل ما أردته هو سماع صوتك ليس أكثر"

تداركت الموضوع سريعًا: "لم أقصد، ولكن كل الموضوع أن رقمي لم أعطه لأي شخص على الإطلاق.. آسف"

- "أوحشتني"

ابتسمت في سري، وصمتُّ للحظة ورددت: "وأنتِ أيضًا

أوحشتِنـي"

ـ "لماذا لم تأتِ اليوم؟"

ـ "كنت أشعر ببعض التعب.. ولم أستيقظ سوى على صوت هاتفك"

ـ "حسنًا.. ألن أراك اليوم؟"

ـ "لا أعرف.. ولكني سأحاول"

ـ "حسنا سأنتظرك"

ثم قالت كلمة بصوت خفيض لم أسمعها، قبل أن تقول: "سلام" وأغلقت الهاتف.

..

دخلت في عوالم لم أدخلها من قبل! للحظات شعرت بقلبي ينبض من كثرة السعادة.. للحظات فقط ثم اختفت تلك السعادة ليحل مكانها الرعب والخوف! مجموعة من العقارب السوداء بشعة المنظر كبيرة الحجم تتجه نحوي!! انتفضتُ من مكاني في هلع، وركضت نحو غرفتي لأغلق الباب على نفسي بسرعة. لحسن حظي أن باب غرفتي لا يوجد به أي فتحات، لذلك أعتقد أنني في أمان. أسمعها في الخارج تحاول أن تتسلق الباب.. مخالبها تحتك بالباب فيصدر صريرًا مقززًا اقشعر بدنى بسببه. وبعد تقريبًا عشر دقائق اختفى كل شيء.

غيَّرت ملابسي سريعًا، ثم هربت من المنزل. وما إن وجدت نفسي في الشارع، حتى تغيرت الحقائق والماديات من حولي.

الشمس تتنصف السماء، وأنا في صحراء ممتدة إلى مالانهاية.
لم يعد هناك أي مبان؛ كل ما وجدته على مرمى البصر هو جبال عملاقة تعانق السماء، ولا يوجد أثر لأي بشر. أنا وحدي هنا تمامًا!
الأرض رملية تمامًا تُصعِّب عليّ المشي، والغريب أنه لا يوجد أي صخور على الإطلاق.
مشيت بصعوبة، وأنا مازلت أشعر بالذهول.
أين أنا؟ هل أحلم؟ وكيف انتقلت إلى هذا المكان!؟
الجو حار، والهواء خانق. ولولا أنني أرى الأشياء بلونين فقط لكان الجحيم مكتمًلا الآن.
ظللت أمشي تقريبًا لنصف ساعة، آلمتني قدماي بشدة، وشعرت بالعطش الشديد، وسيطر الإنهاك على أطرافي.
أغمضت عينيّ قليًلا، ولم ألحظ تغير لون الرمال، فبدأت في الغوص!
لقد اصطادني بحر الرمال!
تسارعت أنفاسي ودقات قلبي، وشعرت بأنني سأموت هنا والآن. والعجيب أنه يجذبني إليه بسرعة شديدة.
أخذت نفسًا عميقًا، وأغمضت عيني وأنا أتوقع أسوأ سيناريو على الإطلاق. لكن ما رأيته أمامي كان بعيدًا كل البعد عن تخيلاتي.
لأنه عندما فتحت عيني، وجدت أمامي عالمًا غريبًا لم أتخيل

مثله على الإطلاق، أو حتى لم أقترب من أن أتخيله.
جبال عملاقة حمراء مرتفعة وملتحمة مع سحب السماء، ثلاث شموس موجودة في السماء، التي هي بدورها قرمزية اللون، وهناك أيضًا غابة ممتدة إلى مالانهاية، وأشجارها غريبة متنوعة لونها بنفسجي. وطيور تشبه الديناصورات تطير في حرية وتقف فوق التماثيل.
ما أدراكم ما تلك التماثيل!
تماثيل لشياطين لم تخطر على عقل الشيطان نفسه!
وحولها هناك كائنات غريبة لم أر مثلها من قبل.
كانت كائنات بشعة الخلقة، قصيرة القامة، رؤوسها ضخمة نسبيًا لا تتناسب مع أجسادها، وتشبه إلى حد ما رؤوس الزواحف. أعينها واسعة تشبه عيون الثعابين، أجسادها رخوة لينة نسبيًا، ولكن هناك عظام بداخلها على الرغم من كل شيء، لا يوجد لديها أنوف، مجرد فتحات في الوجه للتنفس، الفم صغير للغاية وليس لديها أي شفاه، ولذلك أنيابها ظاهرة للأعين.
كانوا يمسكون في أيديهم أجهزة متقدمة، وهناك قبة مضيئة للغاية قريبة مني نسبيًا، أعتقد أنهم يحاولون أن يحموها. كل هذا رأيته من مكاني، وأنا مُسمَّر لا أعرف ما هذا العالم.
واصلت التحرك بحذر حتى لا يروني، والله وحده أعلم ماذا سيحدث لو رأوني.
ذهبت تجاه القبة، ووقفت وسط أولئك الكائنات دون أن يروني،

لا أعرف السبب ولكن هذا من حسن حظي.

عبرت من تلك القبة متلاحق الأنفاس، لأجد بداخلها صندوقًا مزخرفًا كبيرًا نسبيًا.

حاولت فتحه، ولكن لم أستطع، فحملته. وجدته خفيفًا للغاية!

خرجت به خارج تلك القبة، ليبدأ الإنذار.

اختفت القبة خلفي، ووجدت كل الأعين مُعلَّقةً علي. تسمرت في مكاني ولم أصدر أي صوت، وهم كذلك. الصوت الوحيد الذي كان يدوي هو صوت الإنذار الذي هو صوت بوق عملاق.

توقفتْ عقارب الساعة عن الحركة. المشهد مُجمَّد ويبدو كأنه لوحه سريالية عن الجحيم نفسه، فقررت أن أمسك بالصندوق وأهرب.

ركضت بدون تجاه وبدون هدف، وهم ظلوا متسمرين قليلاً، ثم أمسكوا بتلك الأجهزة وركضوا خلفي.

سأهرب بهذا الصندوق حيًا أو ميتًا! ظللت أركض وأنا أسمعهم يصرخون خلفي، وأشعتهم الفسفورية تتطاير من حولي.

ركضت وأنا أبحث بعيني عن أي طريق للهرب، ولكن لم أجد، ولم أر تلك الفجوة المظلمة، فسقطتُ فيها وفقدت الوعي.

كان الانتقال سلسًا كالعادة؛ ما إن فقدت الوعي في هذا الزمن الغريب، أو العالم الغريب، لا أعلم! حتى وجدت نفسي في تلك الغرفة الحمراء التي قابلت فيها (المندوب) من قبل. كنتُ ممددًا على الأرض وأحدق في السقف، حتى ظهر (المندوب) أمامي

ودخل مجال رؤيتي، وكان يبدو على وجهه الهدوء.
ساعدني على النهوض، ثم أجلسني وقال: "(كامل).. هل أنت بخير؟"
لم أرد.
- "(كامل).. أجبني.. هل أنت بخير؟"
ابتلعت ريقي بصوت عال، ثم قلت له: "أنا بخير، ولكن ما هذا الذي حدث لي؟ أين كنتُ الآن؟"
بدا على وجهه بعض الاستمتاع، ثم قال: "سحرٌ أسود، من تلك الأشياء التي كانت السبب في اختفاء والدك. حسنًا لا يجب أن ننتظر أكثر من هذا.. يجب أن ترى تلك الرسالة التي تركها لك والدك. عندما تستيقظ ستجد نفسك في المنزل كالعادة. ستجد شريط فيديو داخل الصندوق الذي سرقته منهم"
ما أن انتهى من تلك الكلمة، حتى استيقظت لأجد نفسي مازلت في منزلي. وضعت يدي على رأسي، ووقعت عيناي تلقائيًا على الصندوق الذي تحدث عنه هذا (المندوب). وتجاهلت قساوة سرقة الألوان من عيني مجددًا. أخذته في سرعة، ثم اتجهت لأشغله سريعًا.
فراغ تام في البداية.. ثم صورة شخص نامي اللحية، بائس النظرات، كثيف الشعر. هذا أبي! ولكن يبدو أنه يقع تحت ضغط عظيم.
تنحنح في البداية، ثم قال: "(كامل).. أعرف أنك تسمعني

الآن.."

وبدا عليه الضعف والانكسار: "وهذا معناه أنني ميتٌ، وتقريبًا أنت في العشرين من عمرك؛ أي أنك تقدر أن تفهم كلامي جيدًا. لقد اكتشفت أشياءً لم يقدر أي شخص غيري في العالم بأكمله على اكتشافها.. أشياء كنت أطاردها، وكنت أريد أن أتأكد من وجودها منذ كنتُ في سنك. وتلك الأشياء كانت سبب موتي. لقد سجَّلت لك هذا الشريط لتعرف الطريقة التي يجب أن تستخدمها لهزيمة تلك الأشياء؛ لأنه ليس هناك شخص غيري يعرف تلك الطريقة. أنا الوحيد الذي كان في مقدرته أن يهزم كل تلك الأشياء.. النار يا (كامل).. النار هي الطريقة الوحيدة لهزيمة تلك الأشياء، ولكن عليك أن تعرف الطريقة لاستخدامها. حاول يا (كامل).. و(المندوب) سيساعدك بأي طريقة أنت تريدها. وافعل كما أقول.. ستسافر إلى المغرب.. ستذهب لقرية اسمها (.....).. ستجد هناك رسالة أخرى مني، وهكذا. والرسالة ستحصل عليها في حال انتصارك على الشر الموجود هناك. لا يوجد أي وقت للشرح، وهناك ستفهم كل شيء.. أحبك يا (كامل).. ومهما حدث أنا فخور بك جدًا"

ابتسم ابتسامه مكسورة، ثم انتهى الشريط.

الطنين!!

كان يدوي في أذني في تلك اللحظة، وكأن أحدهم صفعني مباشرةً على أذنيّ.

وضعت يدي على أذني وأنا على المقعد. لأول مرة تقريبًا أرى العالم أسودَ للغاية، لا يوجد به أي ألوان حتى الأبيض.
لأول مرة أشعر كم أنا وحيد. وسأواجه كل تلك الأشياء التي لا يعلمها سوى الله وحده.
للحظات تناسيت كل شيء عن الجثث والعقارب، والكائنات الغريبة التي رأيتها منذ قليل، و(المندوب)، ورؤيتي للحياة بلونين فقط؛ ونَبَض قلبي من تلك الجملة الصغيرة التي قالها والدي في نهاية الشريط...
أنا إنسان لم يذق طعم الحياة الطبيعة والأسرية يومًا؛ لم يكن لي أصدقاء، ولا أذكر أي شيء عن أبي وأمي. كنت وحدي تمامًا.. وها أنا الآن أرى أبي، وأسمعه يقول لي إنه يحبني. تساقطت من عيني دمعة لم أقدر على كبحها أكثر من هذا. أنا مجرد طفل مهما كبر سني. أنا مجرد طفل يريد أن يعيش حياته مثل الآخرين، وبالتأكيد لا يود أن يقضي نصف حياته وحيدًا منسيًا من كل الناس، والنصف الأخر يقضيها بجانب جثث عفنة متآكلة يراها كل يوم، وعقارب، وحياة لها لونين فقط.
ظللتُ في مكاني، واقتنعت بأنني سأظل هكذا حتى أموت. ولكن هناك شيئًا يتحرك على قدمي!! أنظر إلى قدمي، لأجد عنكبوتًا كبير الحجم يملك جسدًا مليئًا بالشعر. لم أفكر عندها ولم يأتِ في بالي هل هذا عنكبوت سام أم لا؛ انتفضت من مكاني في عنف، فسقط المقعد الذي كنت أجلس عليه للخلف، لأجد العناكب

تحاصرني من كل مكان. كانت تصعد على وجهي، وتحاول الدخول إلى فمي، ولكني كنت أطيح بها في كل مكان. نهضتُ على قدمي بصعوبة، ومازالت تلك العناكب على جسدي وشعري، وأنا أحاول أن أرفعها عني بأي طريقة. أركض في كل مكان ولا أعرف ماذا أفعل، وأثناء ركضي أقتل الكثير منها، حتى تلوثت أرضية المنزل بدمائها اللزجة. أشعر بأرجلها تتحرك على جسدي. لو كانت تلك العناكب سامة فليُقرأ عليّ السلام، ولكن أعتقد أنها ليست سامة؛ لأنني على الأرجح كنت سأكون ميتًا الآن. أعدادها تتكاثر ولا أعرف كيف! يتصاعدون على جسدي بسرعة شديدة لا أعتقد أن العناكب تملكها. أصبحت تغطي جسدي وشعري ويدي بالكامل. صرخت بأقصى قوة أملكها، وفجأة انتهى كل شيء!!

(3)

الهرب! يجب أن أهرب!

أيًا كان ما حدث، سواء حقيقي أم هلاوس، يجب أن أهرب من هذا المنزل اللعين!

أركض ناحية دولابي، وأُخرج كل ملابسي وأرميها في حقيبة خاصة بالسفر. أضع كل حاجياتي التي سوف أحتاجها للسفر، ثم أغلق الحقيبة وأتصل بدليل الهاتف ليعطوني رقمًا لأي شركة طيران. أدوِّن الرقم سريعًا ثم أتصل. ترد عليّ أنثى فترحب بي لأنني اتصلت بشركتهم، وتقول لي إن شركتهم أفضل شركة في مصر، وإلى آخر هذا الهراء. قاطعتها سريعًا وطلبت منها تذكرة درجة أولى إلى المغرب اليوم. فطلبت مني أن أنتظر قليلاً، ثم ردت عليّ بعدها، ويبدو على صوتها الأسف، وتخبرني بأنه لا يوجد مقاعد شاغرة للمغرب حتى الغد، فطلبت منها أن تحجز لي تذكرة في أول طائرة ذاهبة للمغرب غدًا، وأغلقت الهاتف. ذهبت سريعًا لأستحم فوجدت قدميّ ملوثتين بمادة داكنة. نظرت لها ولم أهتم، وأقنعت نفسي بأنها حساسية تجاه العناكب؛ حتى لا أعترف بأن هذه دماء، وأن كل الذي يحدث لي حقيقي. انتهيت سريعًا، ثم ارتديت ملابسي، وخرجت من المنزل وأنا أعرف إلى أين سأذهب. سأذهب إلى (يارا) بالطبع؛ يجب أن ينتهي كل شيء الليلة؛ لن أترك أي أمور معلقة. وعندما خرجت من المنزل،

وجدت نفسي في ذاك العالم المفزع الذي كنت فيه من قبل.
ولكن مع اختلاف بسيط.
ثعابين وعقارب عملاقة تصطف جنبًا إلى جنب، أجساد لمسوخ بشعة مقيدة بجنازير سوداء، مصطفة هي الأخرى جنبًا إلى جنب، وهناك خلفهم من يضرب المتمردين عليهم بالسوط. والذين كانوا يضربونهم هم تلك الكائنات التي هاجمتني في ذلك العالم منذ فترة.
ما عرفته أنهم ملوك العالم الذي أنا فيه الآن. لاحظني ونظر إليّ أحدهم، فأخرج بوقًا ونفخ فيه، فعرفت أن كل تلك الكائنات ستطاردني الآن مجددًا.
وبدأت المطاردة! ولكن في تلك المرة أطلقوا الجحيم خلفي.
الثعابين والعقارب والمسوخ، ومجموعة لانهائية من جيوشهم.
ظللت أركض وأركض، والمسافة بيني وبينهم تقصر أكثر فأكثر.
وصلت إلى نهاية الطريق. توقفتُ بصعوبة، ثم وجدت أمامي نهرًا من الحمم واللا□ا، فصرخت وأغمضتُ عيني، ثم قفزت، لأجد نفسي أعانق أرضية المنزل.
اتصلت بـ(يارا) وأنا في الشارع، وأخبرتها أن تقابلني في الكافتيريا التي تقابل المعهد. ذهبتُ إليها سريعًا، ثم أخذتها من يدها وانطلقنا إلى لا مكان. شعرتْ بالدهشة ولم تتحدث. وعندما هدأتُ، ظللتُ صامتًا تمامًا ولم أنطق بأي كلمة؛ لا أعرف من أين سأبدأ، ولكن هي اختصرت عليّ كل المسافة، وبدأت هي

الحديث، وقالت لي بدون مقدمات: "ماذا بك؟"
ابتلعت ريقي بصوت مسموع لأمنع تلك الغصة التي في حلقي، وقلت لها: "جئتُ لأودعك. سأسافر غدًا، ولا أعرف متى سأعود إلى هنا مجددًا"
صمتت، وتنهدت، ثم سألت: "والمعهد؟ وحياتك؟ وأنا؟؟"
نظرتُ لها ولا يوجد على وجهي أي تعبير، وقلت: "صدقيني.. حياتي غريبة للغاية، يحدث بها أشياء غير محبوبة، لذلك فيجب أن أسافر.. يجب أن أبتعد قليلاً عن حياتي هنا لأجد حلاً في كل ذلك"
- "ولكن يا (كامل) كان يجب أن تخبرني بذلك من البداية؛ حتى لا تسمح لي بالاقتراب منك بكل تلك الدرجة. هل تعلم ماذا سيحدث لو سافرت؟ سأصبح وحدي تمامًا!"
نظرت لها، وابتسمت ابتسامة ساخرة مريرة، وقلت لها: "تحدثيني أنا عن الوحدة!؟ أعتقد أنه لا يوجد مخلوق على وجه الأرض عرف معنى الوحدة مثلي. يا (يارا) على الأقل أنتِ لديكِ أصدقاء، عائلة. أما أنا فخسارتي لن تسبب أي ضرر لأحد"
- "ربما يكون لدي كل هذا، ولكن عندما عرفتك صرتَ أنت كل شيء. وتخبرني الآن أنك سترحل!؟ أنت بذلك تحطمني!"
- "أحبكِ"
هكذا قلتُها دون أي مقدمات؛ فقد وعدت نفسي عندما خرجت من المنزل منذ قليل أن أنهي كل الأمور العالقة.

ـ "أحبك يا (كامل)، ولن أقدر على الحياة من دونك.. لو تركتني سأختفي. حسنًا سأخبرك.. سآتي معك. أعتقد أنه ليس هناك ما يمنع من أن أسافر معك"

ـ "سأفعل أي شيء إلا أن تسافري معي.. أنا مسافر ولا أعرف بعد هل سأعود حيًا أم ميتًا، ولن أقدر على الشرح أكثر"

انهمرت دموعي لأنني لم أقدر على كبتها أكثر من ذلك. ها أنا أقضي على أول وآخر علاقة حب لي في حياتي.

ـ "ومعنى هذا أنني لن أرك مجددًا؟"

ـ "ادعي لي في صلاتك أن ينجيني الله من أي شيء في تلك الأيام القادمة"

نظرت لي لآخر مرة، ثم رحلت...

عندها عرفت أننا انتهينا، ولم يتبق منا شيء. في تلك اللحظة ظهر بداخلي طفل صغير، يمسك بمطرقة كبيرة، ويحطم كل شيء في طريقه، وجاء عند قلبي ولم يتركه حتى حطمه عن آخره. لقد أصبحتُ مجرد قشرة لرجل، سيمحوها الهواء من على وجه الأرض في أي وقت.

سأرحل عن هنا؛ لم يعد لي أي شخص وأي شيء هنا؛ (يارا) رحلت، وحتى (هشام) اختفى منذ فترة، لا أستطيع الوصول إليه. وعلى الأقل قلبي تحطم ولا أريد أن يتحطم مجددًا، سأرحل غدًا لأنهي كل شيء. غدًا بداية طريقي إلى النهاية...

(4)

لم أنم.

بالطبع لم أنم لثلاثة أسباب: أولها أنني لا أعرف هل سأظل حيًا بعد كل هذا الذي يحدث أم لا.

وثانيها: أنني لو ذهبت إلى النوم الآن سأرى (يارا) في أحلامي، ولا أريد أن أراها حتى لا أبكي وأترك كل شيء وأذهب لها.

وثالثها وأهمها: تلك الثعابين. نعم ثعابين.. فقد كنت أجلس على الأريكة أرمق اللاشيء ثم سمعت فحيحها. لم أهتم. شعرتُ بملمس جلدها البارد يلامس يديّ وقدميّ.. لم أهتم؛ فليحدث لي ما يحدث.. لو كانت حقيقية فلأمت؛ لن يشعر بي أحد. وإن كانت غير حقيقية فهي على وشك أن تختفي. مرت مدة طويلة وأنا أجلس على الأريكة، ومئات الثعابين الصغيرة تغطي جسدي، وأنا منتظر لتلك العضة الأولى والأخيرة التي ستقضي عليّ وتعطيني الراحة الأبدية.

استسلمت للنوم سريعًا، واستيقظت لأعرف أن كل هذا الذي يحدث لم يكن سوى وهم ملموس لو كان هناك شيء يسمى بهذا. مادة لزجة على يديّ، عناكب ميتة منذ أمس، آثار خدوش على الباب، تقنعني بأن كل هذا ليس مجرد وهم ملموس. اتصلت بشركة الطيران لأتأكد من أن الطائرة ستبدأ رحلتها الساعة الثانية. كانت الساعة 12، لذلك ليس لدى الكثير من الوقت.

استحممت، وتأكدت من أن حقيبتي بها كل شيء يلزمني، ثم أحكمت إغلاقها.
ونظرت نظرة أخيرة إلى منزلي.. ثم رحلت. وها قد بدأت رحلتي...

أحببت ركوبي للطائرة.. بالمعنى الأصح أحببت فكرة الطيران.. فكرة أنني تركت كل مشاكلي على الأرض، وهربت إلى مكان آخر لأبدأ فيه من جديد. لا أعرف كم مر من الوقت وأنا في الجو ولكن لم يمر الكثير منه. وعندما لامست قدماي الأرض، شعرت بكل المشاكل تعود إليّ، فتنهدت ومضيت في طريقي.

(5)

ظللت أفكر طوال الطريق إلى تلك القرية، وعندما وصلتُ لم تكن قرية بالمعنى الحرفي للكلمة. كانت أقرب إلى واحة. قطعة صغيرة مليئة بالخضروات.. نخلتان، بئر مياه، والكثير من المنازل متعددة الطوابق، وصحراء.. صحراء طويلة ممتدة إلى مالا نهاية. الناس يعملون في صمت، ولا ينظرون لي، كأنه ليس من الغريب أن يروا غرباء مثلي. وهذه نقطة أثارت قلقي.

عندما وصلت تقريبًا كانت الشمس على وشك أن تغرب، ووجدت من يقول لي أن اسمه (علي)، وأمرني أن آتي خلفه. ذهبنا أنا وهو إلى شيخ القرية، وتحدث معه بلغة مليئة بحرف القاف مسمعها غريب جدًا على أذني، وبعدها عرفت أن تلك اللغة هي لغة أهل المغرب. انتظرت متململاً حتى انتهى من الكلام معه، ثم أدخلني إلى منزله. كانت الساعة الثامنة بالدقيقة؛ أي أنني أخذت من مصر إلى هنا ست ساعات بالتمام والكمال. أدخلني إلى غرفة صغيرة بها سرير والكثير من الكتب، وأدخل حقيبتي ورحل، ثم جاء (علي) وقال: "لو احتجت إليّ، أنا موجود في الغرفة التي تجاورك". أومأت برأسي له، ورحل وأغلقت الباب. بعدها بساعة تقريبًا سمعت صوتًا ارتجف له الدم في عروقي.

إنه ذلك البوق الذي سمعته من قبل في ذلك العالم المشوه الذى يطاردني!

صوت البوق يدوِّي للمرة الثانية.. صوت الناس في الشارع يصرخون ويركضون، الغرفة بدون نافذة! ماذا يحدث!؟

صوت البوق يدوِّي للمرة الثالثة.. الناس ما زالوا يركضون ويصرخون، ولكن الأصوات بدأت تقل...

أركض في المنزل بأكمله لأبحث عن أي نافذة، فأجد واحدة.

الصوت يدوِّي للمرة الرابعة والأخيرة، وصوت الناس يختفي ليبدأ صوت العاصفة. أفتح النافذة لأجد عاصفة شديدة هوجاء، ووجدت بها شيئًا شديد الغرابة؛ عمدان طويلة تقريبًا تصل للسحاب، وتتحرك بنظام شديد كأنها جنود تتحرك. وكان هذا آخر ما رأيت؛ لأن ابن شيخ القرية الذي يستضيفنا عنده ظهر ليصرخ في وجهي، ودفعني وأغلق النافذة سريعًا. جاء (علي) سريعًا، فتحدث معه بهدوء، وهو يجاوبه بصراخ ويشير بيده نحوي، فقال له (علي) جملة وسمعت اسم أبي في آخر الجملة، فهدأ بسرعة عجيبة، ونظر لي بنظرة احترام تقريبًا ورحل.

سألت (علي): "ماذا قلت له ليهدأ بهذه السرعة!؟"

ابتسم: "أخبرته بأنك ابن الدكتور (محمود)"

- "وهل هذا سبب كاف لأن يهدأ بكل تلك السرعة!؟ ولماذا صرخ فيّ عندما فتحت النافذة؟ وأيضا أنا رأيت شيئًا غريبًا في الخارج.. رأيت..."

قاطعني قائلاً: "(كامل).. أنا لا أعرف شيئًا مثلي مثلك؛ أنا هنا فقط لأساعدك في أي شيء تطلبه لا أكثر.. أكثر من ذلك لا

أعرف"

صمتُّ ولم أرد. صوت العاصفة غير مُغرٍ بأي شيء على الإطلاق.. عاصفة أولية آتية من قلب الطبيعة نفسها. دخلتُ غرفتي، وألقيت نفسي فوق سريري، ونمت لأن الإنهاك قتلني. ولثاني مرة أنام بدون أن أحلم أي أحلام سيئة. نومًا طبيعيًا للغاية.

بعدما استيقظت نزلت إلى الشارع لأجد أن القرية نصفها مدمر؛ قطعة الأرض أصبحت صغيرة لا تكفي حاجة عائله صغيرة، مبان مدمرة، أكواخ صغيرة كان يباع فيها أشياء دُمِّرت بأكملها. عدت لأطلب من (علي) أن يتحدث مع أحدهم ليخبرني عن ما حدث ليلة أمس، ولكن محاولتنا لم تبؤ سوى بالفشل؛ لأن كل الناس عندما يسمعونه يتحدث عن الذي حدث ليلة أمس ينظرون للأرض، وينهون الحديث سريعًا ويهرولون. لم نكن نعلم أننا سنظل هكذا لمدة شهر كامل...

وصرت منهم سريعًا، وكانوا يعاملونني على أنني واحد منهم، ولكن عندما أبدأ في سؤالهم عن تلك العاصفة التي تتكرر من حين لآخر، يتركوني ويرحلون. لذلك كنتُ أفضّل ألا أتحدث حتى يتحدثوا هم. عرفت أنهم يبدؤون كل شيء من جديد بعد كل عاصفة، كل يوم يُعيدون كل شيء إلى مكانه؛ يبدؤون في الزراعة مجددًا وكأن شيئًا لم يكن. أكلت الكثير من (الشباكية) لأن طعمها أعجبني جدًا، ورأيت مراسم الزفاف عندهم. كان

زفاف ابن أحد كبار القرية، وأعتقد أن الزفاف تقريبًا تم التحضير له قبلها بثلاثة أيام: اليوم الأول يكون خاصًا بكل الأمور المتعلقة بالعروس وصديقاتها، واليوم الثاني مخصص للحناء، وعرفت أنهم لا يتخلون عن تلك العادة أبدًا؛ لأنهم يتفاءلون بها، ويعتبروها مصدر تفاؤل للعروس، واليوم الثالث -أهم يوم بالتأكيد- يتم فيه زف العروس لزوجها.

يتم إحضار سيدة تتكفل بزينة ولبس العروس، وتدعى (النكافة)، وتعتبر من أهم عوامل نجاح الفرح. ولكن عندما عرفت أنها تتقاضى أكثر من ألف دولار، سقط فكي من الذهول. الكارثة التي حدثت أننا خلال حفل الزفاف لم نشعر بمرور الوقت، والبوق لم يُدَّوِ، لذلك لم نعرف أننا تجاوزنا الوقت. إنهم قادمون الآن؛ لا أعرف من هم ولكنهم قادمون. ركضت في كل اتجاه عندما تذكرت، وصرخت فيهم "الوقت أيها الحمقى! الوقت!"، ولكن لم يسمعني أي منهم.

لم يتأخروا؛ بدأت رياح خفيفة، ثم اشتدت، ثم أصبحت كارثة. رمال في كل مكان آتية نحونا، عمدان طويلة للغاية تتحرك بنظام غير مسبوق وآتية نحونا. كل الرجال اصطفوا بجانبي، وأعطوني سيفًا ثقيل الوزن، وبعض من الرجال قادوا النساء إلى المنازل، واختفى (علي) تمامًا.

سألتهم: "لماذا لا نعود لمنازلنا نحن أيضًا؟"

أجابني أحدهم: "لقد كسرنا القوانين.. من يظل هنا عندما يأتون

يظل للأبد"

العاصفة على مرمى حجر منا.. ملابسنا أصبحت أضحوكة بالمعنى الحرفي للكلمة.. ملابسي تطير مع الرياح، وشعري أصبح كارثة؛ لأنه يتطاير في كل مكان، ونظارتي ثبتُّها على عينيّ بصعوبة بالغة. وعندما وصلت العاصفة عندنا، حدث شيء غريب للغاية، أغرب شيء رأيته هنا منذ وطئت قدماي تلك القرية الملعونة...

لقد هدأت العاصفة، ولكن الرمال تتشكل كلها، وتتجسد أمامنا على هيئة جنود.. نعم جنود. طوال القامة، جسمهم منحوت للغاية، ولكن يبدو عليهم القوة، عيونهم تنير بلون داكن، أعتقد أنه اللون الأحمر، اللون الرسمي للشر، ويمسكون في أيديهم سيوفًا طويلة. لم يكن هناك وقت للتفاهم؛ بالتأكيد إذا أردت أن تضيع وقتك مع جنود من الرمال في المفاوضة فأنت ميت لا محالة. بدأت المعركة بدون أي كلمة، ولكن بدأت بصراخ...

التحمنا معهم. أنا لا أجيد استخدام السيف، ولكني أفعل أقصى ما أستطيع. أطوح بالسيف ناحية أي جندي منهم، وأصيب الهدف. أنا رائع بالتأكيد، ولكن المشكلة في هؤلاء الجنود أن السيف يمر منهم كأنه يمر داخل ماء، لذلك لا أريد أن أخبركم بأننا في معركة معروفة نتيجتها من قبل. سنُقتل! وبعد عشر دقائق من القتال -غير المتكافئ بالطبع- انسحبنا. عدنا للخلف كلنا، لم يتبق منا سوى خمسة، حتى عريس ذلك الزفاف قُتِل ولم يستطع أخوه أن

يفعل أي شيء. دموع القهر على وجوهنا ونحن نترك قتلانا وجرحانا بين أيديهم. لم أستطع العودة للمنزل، ركضت معهم نحو أكبر منزل بالقرية، ودخلنا سريعًا.

صوت الصراخ غير الآدمي والتحطيم في الخارج عالٍ للغاية، ولا يقدر أحد منا على الاعتراض. بعدما هدأنا قلت لأخي ذاك العريس الذي قُتِل، واسمه (محمد): "كيف تقاتلون هذه الأشياء!؟ ما الذي تعرفونه عنهم؟"

ارتطمت كلماتي بحائط صلب. أمسكته من جلبابه وصرخت في وجهه وقلت: "أخبرني أي شيء عنهم، على الأقل حتى نأخذ بثأر أخيك!"

نظر لي نظرة خاوية أعرفها جيدًا؛ لأنني كنت أراها في مرآتي كل يوم. نظرة شخص فقد كل شيء. ولم يرد. دفعته بعيدًا وجلست بجانبه. انفتح الباب الذي في أول الغرفة وسمعت صوتًا يقول: "ماذا تريد أن تعرف يا (كامل)؟"

نظرت سريعًا ناحية الباب، فوجدت رجلاً في أواخر الخمسينات تقريبًا، تبدو عليه القوة والشدة. قلت له: "كل ما أريد أن أعرفه، أي شيء يخص هذا الذي حدث اليوم. ساعدوني لأساعدكم"

- "أسطورة قديمة تقول إن الصحراء الكبرى هذه بها كائنات لا أحد يعرفها، لكن أجداد هذه القرية لم يهتموا وبنوا هنا قريتهم، وبعد سنة واحدة بدأت العواصف. كانت خفيفة في البداية، ثم

صارت كأعنف ما يكون في مهاجمتهم، وبعد ذلك بدأ الجنود في الظهور، وقضوا تمامًا على الزرع والمياه، وظلت القرية صامدة حتى الآن، وعندما أتى والدك لم يستطع سوى أن يقوم بمعاهدة مع أهل التراب لمدة عشر سنوات، لا يهاجموا هذه القرية لمدة عشر سنوات، لكن الثمن لم يعرفه سوى والدك"

- "ومن أنت؟"

- "صديق لوالدك كنا سويًا في كل شيء، ولكن عندما أتينا هنا فشلنا في القضاء على تلك الكائنات. أنا استسلمت وعشت هنا، وهو رحل".

- "وما الحل؟"

- "سنظل هكذا.. كالعادة"

- "يجب أن نجد طريقة لمقاتلتهم"

غضب قائلاً: "أنت لن تكون أفضل من والدك.. لن تقدر على النجاح في شيء فشل فيه هو"

- "سأستطيع، وهذا وعدي لك"

خرجت من الغرفة، وذهبت لغرفة أخرى، وجلست على مقعد كبير، حتى سقطتُ في النوم. غدًا سيكون يومًا طويلاً للغاية...

(6)

استيقظت على أذان المغرب تقريبًا. لا أعرف كيف نمت كل هذا النوم، ولكن كما قلت اليوم سيكون يومًا طويلاً للغاية، يجب أن أجهز نفسي. ذهبت لأغتسل وأتوضأ لأصلي المغرب، فوجدت صديق والدي هذا الذي لم أعرف اسمه بعد.

قال لي: "سامحني يا (كامل).. لقد كنتُ غاضبًا للغاية ليلة أمس.. ولكني أشعر بالخوف عليك مثلما كان سيفعل والدك"

- "ولكن هذا لن يمنع أبدًا أنني سأقاتل اليوم"

- "لا توجد أي مشكلة. لنصلي المغرب ونرى من يريد أن يساعدنا"

- "يساعدنا!؟"

- "نعم يساعدنا.. أنا وأنت. هل تظن أنني سأتركك تذهب وحدك!؟"

ابتسمت له وذهبنا لنتوضأ ونصلي.

وبعدما انتهت الصلاة، وقف وتحدث مع الناس بتلك اللغة التي مازالت أذني لا تحبها. الناس خائفة، أرى هذا في أعينهم، ولكن لا يوجد حل؛ يجب أن ينتهي كل شيء اليوم. وبعد فترة بدأ المتطوعون في الظهور. ابتسمت.. "إذًا سيكون موعدنا في الثامنة". قلتها لنفسي.

نزلنا إلى الشارع، وتجمعنا في المكان الذي حدثت فيه تلك الكارثة أمس. المكان محطم حرفيًا، كل شيء فيه محطم؛ ونفسيًا لأنك هنا ترى أخ مكسور، وأرملة لم تتزوج أصلاً، وأب مكلوم.
الثامنة إلا خمس دقائق. الوقت يمر بسرعة شديدة، والمتطوعون مازالوا يأتون ويقفون بجانبنا.

الثامنة إلا ثلاث دقائق..

صديق أبي يركض ليقف بجانبي، ويمسك بيديه سيفين، فأسأله: "لماذا لا تستعملون الأسلحة النارية!؟"

فيقول: "لا نملك منها أي شيء"

أعطاني أحد السيفين قائلاً: "هذا السيف خفيف الوزن لكن شفرته حادة"

- "ولكني لا أستطيع استخدام السيوف!"

- "الدرس الوحيد لاستخدام السيوف: اجعل السيف يتحرك معك بحركة انسيابية وكأنك تحرِّك جزءًا من جسدك"

نظرت له، وابتسمت شبه ابتسامة.

الثامنة إلا دقيقة..

القرية لم يصبح فيها سوانا. الآن لم نتجاوز العشرين تقريبًا، ولكن ما الذي بيدنا وممكن أن نفعله!؟

لقد حان الوقت.. إنها الثامنة!

البوق يدوِّي، فيُجمِّد الدم في عروقي مجددًا، كأنه بوق حرب بدائية بين قريتين من قديم الزمان.

الصوت يدوِّي للمرة الثانية، ولم يتحرك أحد منا؛ نحن هنا لننتصر أو نموت. هنا أجد أخا عريس ليلة أمس الذي قُتِل، أب تلك العروسة التي أصبحت أرملة قبل أن تصبح زوجة.
صوت البوق يدوِّي للمرة الثالثة، فتبدأ العاصفة!
نفس السيناريو الذي حدث ليلة أمس تقريبًا.. بدأت رياح خفيفة، ثم اشتدت، ثم أصبحت كارثة! رمال في كل مكان آتية نحونا. عمدان طويلة للغاية تتحرك بنظام غير مسبوق آتية نحونا. ولكن على الأقل نحن الآن مستعدون. سنَقتُل أو نُقتَل. اصطففنا جميعًا بجانب بعضنا البعض. يدي ترتجف بشدة من الخوف، فأشعر بيد (يارا) الوهمية تطمئنني فأهدأ. الليلة ينتهي كل شيء. منظرنا أسطوري؛ نقف وملابسنا وشعورنا تتطاير من شده العاصفة، ولكن نقف. لن نتحرك.. لن نذهب إلى أي مكان. الجنود تتشكل كما حدث ليلة أمس بنفس سيوفهم وشكلهم، ولكن الاختلاف هذه الليلة أنهم يمتدون إلى مالا نهاية، ويوجد بينهم شيء أطول منهم، لذلك استنتجت بأن هذا هو قائدهم.
بدأ القتال!
قتال غير متكافئ على الإطلاق، كأنه قتال بين أسماك خرجت لتوها من المياه لتجد أمامها كل قطط العالم؛ النتيجة معروفة، ولكن يجب أن يكون لهم نقطة ضعف. لا يوجد صوت سوى صوت صراخنا. السيوف ترتطم في أجسادهم وتمر منها وكأن شيئًا لم يحدث. حتى سيوفهم حادة كسيوفنا تمامًا، من الرمال

ولكن لها كيان مادي، ولذلك نستطيع على الأقل أن ندافع عن أنفسنا، كخدوش قطة في وجه نمر شرس، يعرف أنه سيفوز بالقتال، فيستقبل تلك الأظافر بكل بساطة. أستخدم السيف تمامًا كما قال لي صديق والدي. ولكن المشكلة أن السيف لا يصيب الهدف تمامًا. عددنا يقل بسرعة شديدة، ولم يمر سوى عشر دقائق فقط!!

(علي) يجندل ثلاثة منهم، ولكن أعدادهم تتزايد باستمرار. إننا نموت! إننا نخسر! يجب أن أفعل شيئًا!

<صوت صراخ>

رمال.. رمال.. كيف يمكنني القضاء على الرمال؟

المياه؟ لا أعتقد هذا؛ المياه ستفرِّق من شملهم فقط. صوت الصراخ يتزايد. لو توقف ذلك الصراخ لثانية واحدة كنت سأعرف الإجابة!

(علي) يصرخ؛ لأنهم أسقطوه أرضًا وتكاثروا عليه، ولكنه مازال يقاوم..

صديق أبي مازال يحاول أن يقاتل...

<صراخ! صراخ! صراخ!>

ثانية واحدة ستكفي.. ثانية واحدة فقط لأتذكر.

لقد أخبرني أبي بنقطة ضعفهم.

يجب أن أتذكر.. يجب أن أتذكر.

وفي تلك اللحظة عرفت كم أنا أحمق؛ الحل كان أمام عينيّ

حرفيًا.

الزجاج! نعم بالطبع!

لقد أخبرني أبي بأن نقطة ضعفهم الوحيدة هي النار.

والرمال عندما تتعرض لدرجة حرارة عالية للغاية تتحول إلى زجاج.

ولكن أبي لم يستطع الحصول على نيران بدرجة حرارة ١١٠٠.

أبي أعطاني الحل نظريًا، وترك لي تطبيق الحل.

صرخت في (علي) قائلاً: "النار هي الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تقضي على كل تلك الكائنات"

هنا، وهنا فقط، عرفت كم كان (المندوب)، الذي كان هو (علي) من البداية، مفيدًا...

(7)

لقد تملص من كل هؤلاء الجنود الذين كانوا يحوِّطونه، وخلع ملابسه التي كان يرتديها، لتظهر البذلة التي رأيته بها في المرة الأولى، وركض نحوي وأمرني بأن أعود للخلف، ثم ركض تجاه جنود الرمال ووقف أمامهم. لا أعرف ما يفعله ولكنه الجنون ذاته!

ضم يديه سويًا، مكوِّنًا ما يشبه الدائرة، ثم رفعها لأعلى، فتكوَّنت أكبر وأعتى عاصفة نيران. نعم عاصفة من النيران، أخذت تكبر وتتحرك، وتحصد في جنود الرمال. النيران لفحتني وأنا أقف في مكاني، فركضت وأمرت كل من بقى حيًا أن يركض حتى لا يُشوَى حيًا. ركضنا.. صوت غريب يعلو من خلفنا.. اختبأنا خلف أحد المنازل، وبعد عشر دقائق هدأ كل شيء.

ظللنا في مكاننا عشر دقائق أخرى، حتى شعرنا بالأمان، فخرجنا من مخبأنا، لنجد أمامنا لوحة كبيرة مكونة من الزجاج. بحثت عن (المندوب) بعينيّ بينهم ولم أجده. وعندما كنت على وشك أن أفتح فمي، سمعت صوت زجاج يتحطم. سقط قلبي في قدمي، واتسعت عيناي، وكانتا على وشك الخروج من مقلتيّ، ولكن حمدًا لله لم يحدث شيء. أتذكرون قائدهم؟ تحطمت الرمال من على جسده، وسقط على ركبتيه. ركضتُ نحوه والسيف بيدي. كان يشبه تلك الكائنات التي رأيتها من قبل في ذلك العالم الغريب

للغاية الذي كنتُ فيه؛ العيون الواسعة، فتحتيْ التنفس اللتان تذكراني بالثعابين، الفم المليء بالأنياب ولا يوجد له أي شفاه، الجسد الرمادي اللين الذي يشبه جسد الزواحف، الرأس الضخمة بعض الشيء؛ ولكن الاختلاف هنا هو أنه كان ضخم الجسد طويل القامة. نظر لي وكأنه يرجوني بأن لا أقتله، فظللت أرمق وجهه، وأنا أرى كل ضحية هو كان السبب في قتلها، ورأيت نفسي أبتعد عن (يارا) بسببه هو، رأيت الجثث في منزلي، رأيت العناكب والثعابين والعقارب. وضعت السيف على حد رقبته، ثم رفعته بعنف من أسفل لأعلى، لينفصل وجهه عن جسده. دماء سوداء تخرج من جسده، ثم يسقط على الأرض، وتتحول جثته إلى رماد. بعدها تركت السيف، وانتهى كل شيء للأبد.

لم أنم تلك الليلة. لقد خرج كل سكان القرية، ثم حملوني على أعناقهم، وانتشرت الراحة في كل مكان. لقد خلَّصتهم من عذاب طال طويلاً. حسنًا رائع! لقد انتهيت من أول خطوة لمعرفة كل شيء. الإنهاك قتلني؛ أنا مستيقظ منذ أمس، والآن أنا في أمس الحاجة إلى النوم. صديق والدي يخبرني بأن اسمه (يوسف)، وهو يبتسم ويقول لي الكثير من الكلام، الذي لم أسمعه لأنني في عالم آخر. يخبرني بأن والدي ترك له شريطًا، وأخبره بأن يعطيه لي إذا أتيت وأتممت المهمة التي طلبها مني، ولكني متعب. سأرى ذلك الشريط عندما أستيقظ. نهضت من على المقعد، ثم

ألقيت بنفسي فوق السرير، وسرعان ما ذهبت لعالم الأحلام.
في البداية رأيت الكثير من الأحلام. أنا لم أحلم أحلامًا طبيعية طوال حياتي، لذلك كنت أشعر براحة شديدة. يبدو أنني بدأت أستعيد حياة طبيعية اشتقت لها كثيرًا. رأيت (يارا)، ورأيت أبي، ثم اختفى كل هذا لأرى هذا الرجل الذي كنت أراه في أحلامي كل يوم. وجهه غير الطبيعي، كأنه يرتدي قناعًا كاملاً من الجلد.. الميت!!
نعم الميت هي الكلمة الصحيحة والمناسبة التي كنت أبحث عنها منذ فترة. عيناه مازالتا تتحركان في وقاحة. نفس الصحراء.. نفس الملابس. ولكن هنا، حدث شيء غريب لم يحدث من قبل في أيٍّ من تلك المرات اللانهائية التي أتى لي فيها. لقد ابتسم ابتسامة خالية من أي مشاعر وبعدها كل شيء تجمَّد! ثم فتحت عينيّ.
توقعت أن أرى كل معالم غرفتي، ولكن كل ما قابلته عيناي هو الظلام. الظلام الأوليّ الدامس، الذي يأتي من أعمق آبار الطبيعة، وكنتُ مقيدًا تمامًا.. ما الذي يحدث؟
التفسير الوحيد للذي أراه أمامي الآن، هو أن الظلام قد حل على القرية ولا يوجد كهرباء، وأن أحدهم قيَّدني بالغطاء لأن الجو بارد للغاية!!
تفسير لا يصمد أمام أي عقل أو منطق، ولا ينطلي على أي طفل صغير. إذًا ما الذي يحدث؟

وبعد مرور الوقت، تأكدت من تلك الحقيقة المفزعة، التي بدأت تتكون شيئًا فشيئًا منذ فتحت عيني.

لقد دُفِنتُ حيًا!!

نعم لا أعرف كيف، ولا أعرف متى، ولكني تأكدت الآن أنني دُفِنتُ حيًا.

ظللتُ طويلاً حتى اعتادت عيناي على المكان، وكان كل ما أراه هو جدار صخري ممتد للأبد، فوقي على بعد متر تقريبًا. رأسي هو الجزء الوحيد في جسدي الذي أستطيع أن أحركه. ظللتُ أحاول أن أخرج من هذا الكفن، ولكني لم أستطع، فبدأت في الصراخ.

صراخ طويل مرير، بأسماء أشخاص كنت أعتقد أنهم يستطيعون إنقاذي.

"باباا"

"يااااااااااااار اااااااااااااااااااا"

كل ما كان يجيبني هو الصمت التام، كأنني من كثرة صراخي قد أصبت بالصمم.

ظللتُ أصرخ وأصرخ، حتى انقطع صوتي تمامًا، ودب اليأس في أوصالي. الدماء تخرج من حنجرتي.

الوقت يمر، وأنا بكل ثانية تمر أتأكد أكثر بأنني سأموت هنا. أشعر بشيء ما يصفعني على وجهي صفعات متكررة.. أشياء تعضني وتتحرك بجانبي، ولا أعرف ما هي. على الأقل أنا الآن

تأكدت من أن حياتي لا بأس بها على الإطلاق. سأموت هنا والآن دون أن أفهم، ولكني سأذهب إلى عالم خالٍ من أي شر أو ضرر. أغمضتُ عينيّ، وانتابتني حالة من السلام النفسي.

(8)

"(كامل).. (كامل) استيقظ.."

يصفعني بشدة على وجهي، ويأمرني بأن أستيقظ.

"باباااااااااااااااااااااااااااا!"

يصفعني بشدة أكثر عدة مرات، ويحاول أن يجعلني أستيقظ.

"يااااااااار اااااااااااااااااااا!"

هذا ما حدث عندما كنت نائمًا وأحلم بهذا الكابوس، الذي ترك أثره عليّ عندنا استيقظت.

لا أعرف كيف استيقظت، ولكني فتحتُ عينيّ وأنا أبكي من شدة الخوف والألم، لأجد أناسًا كثيرين يقفون حولي، وبينهم (يوسف)، ويبدو القلق على وجهه.

كلهم يتحدثون في آن واحد، ولكني لا أقدر على الرد؛ لأنني ببساطة لم يعد لدي أي صوت. لقد أصبحت أخرسَ تمامًا. في كل مرة أحاول أن أبدأ فيها الحديث، كل ما أقابله هو صوت غير مسموع سوى في عقلي فقط، وحنجرة تؤلمني للغاية.

اعتدت على الوضع سريعًا، وعرفت من طبيب موجود في القرية أنني سأظل هكذا لفترة طويلة، لذلك استسلمت سريعًا، وأكملت طريقي كالسابق. أخذت شريط الفيديو الثاني من (يوسف)، هدأت نفسي قليلاً، ثم شغَّلته.

فراغ تام كالعادة في البداية، ثم أبي بائس حزين، مكسور أكثر

من الفترة السابقة، ولكن شاعت ابتسامه خفيفة على وجهه، ثم قال: "(كامل).. حمدًا لله على سلامتك. بما أنك تشاهد هذا الشريط الآن فهذا معناه أنك قضيت على أهل التراب. كما قلت لك سابقًا أنا فخور بك. لقد ألقيت بك أمام تحدٍ أنا لم أقدر عليه، وكل ما فعلته هو معاهدة معهم مقابل أن أُسلِّم نفسي لهم. لا يهم أن تعرف من هم الآن؛ كل ما يهمك أن تعرفه هو أن مازال أمامك بلدين يجب أن تذهب إليهما. من الطبيعي أنك الآن تسأل نفسك (لماذا أذهب لتلك البلاد؟) سأخبرك... تلك البلاد كانت محطة لجيوش وكائنات تعمل من أجل كائنات أشر وأكبر، ويُعتبروا من أهم مراكز القوى لهم، لذلك فأنا أرسلك للقضاء عليهم؛ ليتشتتوا وتستطيع أنت أن تفوز بالحرب. المحطة القادمة (كاليفورنيا).. بلدة هناك تدعى (ربيك)"

تابع موضحًا: "الآن استمع جيدًا لما سأقول... الكائنات التي تحاربها يسيطر عليها رمز يجعلهم منظمين، ولو تم تدمير طرف واحد من هذا الرمز، تتحطم باقي الأطراف. وهذا الرمز هو المثلث. دمِّر طرف يُدمر باقي المثلث تلقائيًا. وعندها تكون استطعت القضاء على شر موجود منذ فترة طويلة. بالطبع لن تقدر على القضاء عليهم نهائيًا، ولكن سيستريح العالم منهم لفترة طويلة للغاية. أنا لا أعرف كيف تم إقحامي في قصة مثل هذه. سمعت عنهم كثيرًا، ولكنني لم أصدق أي شيء، حتى خطفوا تلك السفينة التي كنتُ عليها أنا ووالدتك في المحيط

الهادي، ويجب أن تعرف بأن تلك الكائنات تتعامل دائما بالسحر، لذلك يجب أن تعرف أنك لو قتلت أحدهم سيرسلون لك آخر ليسبب أي ضرر لك؛ حتى يكونوا فائزين هم أيضًا"

ثم قال محذرًا: "سيصطادونك وأنت نائم. من الممكن أن يكون كلامي متأخرًا قليلاً، ولكن هم في كل الحالات سيرسلون لك أحدهم ليؤذيك. أنا أعلم بأنني أدخلتك في قصة ليس لك أي ذنب بها، فسامحني يا (كامل). أحبك يا بني"

ابتسم ابتسامته المكسورة التي اعتدت عليها، ثم انتهى الشريط.

فراغ تام سيطر على عقلي. لا أعرف ماذا أفعل! ولكن هل يوجد أي شيء في يدي أفعله سوى أن أكمل طريقي!؟

(٩)

انتهيت من حزم حقائبي، ثم ودعنا سكان القرية، وذهبت لأتحدث مع (يوسف)، فباركني وقال إنني بالتأكيد لن تقف أمامي أي عقبة، ثم أخبرني بأنه سيذهب معي إلى أي مكان. حاولت أن أمنعه فلم أستطع؛ لأنني بالفعل أحتاج إلى حليف لي. حزم حقائبه ثم رحلنا للأبد عن تلك القرية. رحلنا وأنا أملك خبرة، وصديق، وصوت تم تدميره. وبالنسبة للمحصل العام، لقد فزت ولكن ببعض الخسائر. خسائر أولية ولكن كل معركة يجب أن يكون بها بعض الخسائر. التذاكر جاهزة، وكل شيء جاهز للسفر. طائرة مجددًا. رائع! شيء ما سيساعدني على رفع حالتي المعنوية. تسع ساعات ونصف في الطائرة حتى تحطمت أوصالي. طوال الرحلة، في كل مرة أسقط ضحية للنوم، أرى كابوس دفني حيًا فأستيقظ مذعورًا، وأنظر من خلال النافذة، فأجد أنني مازلت فوق العالم بأكمله. أنظر لـ(يوسف) فأجده نائمًا كأعمق ما يكون. من الجيد أن يكون لك حليف ما يساعدك في حربك، حتى ولو كان ليس له أي دخل بتلك الحرب. أتذكَّر (يارا)، وأحاول أن أتخيل ما هو شعورها الآن. هل مازالت تتذكرني؟ السؤال الأجدر لي بأن أسأله "هل مازالت تحبني؟" لا أعلم!

أخيرًا هبطنا. جلسنا قليلاً في المطار لنستمتع بالأرض، ثم صعدنا على طائرة أخرى ذاهبة إلى (كاليفورنيا). ثلاث ساعات أخرى

من الطيران. ومن هناك ذهبنا لمدينة كبيرة نسبيًا على الأطراف تدعى (رييك). ونحن على بوابة الدخول نفحتني نسمة هواء باردة، ثم نظرت لأجد هذا الكهف يدعوني إليه.. كهف بوابته ضخمة مغلقة بقفل عريض. تجاهلت ذاك الشعور ودخلنا.. تقريبًا لا يميز تلك المدينة أي شيء سوى غابة عملاقة كثيفة الأشجار، ولكن كل شيء آخر عادي؛ محلات صغيرة، ومبان متوسطة الحجم فقط، لا يوجد أي شيء آخر. طريق مرصوف واحد ممتد للبلدة كلها، كنيسة لا يتعدى حجمها حجم منزل كبير، غير شعبية بالنسبة للسكان لأنها تعتمد على المذهب الإنجيلي، مدرسة مكونة من دور واحد فقط، مطعم يقدم الكثير من الكولا والأطعمة المليئة بالدهون. أما بالنسبة للسكان، فكانوا يعيشون في انعزال تام عن العالم، كأن تلك المدينة ليست ملكهم، وأنهم يعلمون أنهم راحلون لذلك لا يهتمون. مدينة بائسة وسكان بؤساء، ذكروني بفيلم (الجحيم الصامت). استأجرنا غرفتين في فندق متواضع، وقال لي (يوسف) قبل أن يدخل غرفته: "أي شيء تحتاجه تعال إليّ في غرفتي مباشرة"

هززت رأسي موافقًا، ودخلت غرفتي سريعًا، وألقيت نفسي فوق السرير. عندما وصلنا كانت الساعة الواحدة ظهرًا تقريبًا. غبت في النوم سريعًا، وكل ما رأيته كان هلاوس لأنني كنت متعبًا للغاية. استيقظت حوالي الساعة السابعة مساءً؛ أي أنني نمت ست ساعات كاملات من كثرة تعبي وإرهاقي. خرجت من غرفتي

وطرقت باب (يوسف)، فسأل: "من الطارق؟"
تلقائيًا كنت سأرد، ولكن تذكرت أنني لا أملك أي صوت، فطرقت الباب مجددًا فعلم أنه أنا. قال لي عندما رآني: "(كامل).. هل تريد شيئًا ما؟"
هززت له رأسي بمعنى أنني أريد الخروج، إذا كانت هناك أي إشارة في الدنيا بهذا المعنى، فلم يفهم. دخلت غرفتي وأحضرت ورقة وقلمًا وكتبت له أنني أريد الخروج فوافق. ذهبنا لمطعم قريب لنستمتع فيه ببعض شطائر الهامبرجر، وجلسنا قليلاً نرمق الناس. أناس عاديون للغاية، ولا يوجد أي شيء يميزهم. لا أعرف ولكني في هذه المدينة أشعر بأن كل هذا الهدوء هو ذلك الهدوء الذي يسبق العاصفة.
عندما خرجنا من المطعم، واتجهنا إلى الفندق مجددًا، كان ضباب خفيف متكوِّنًا في الطريق أمامنا. ضباب في الساعة الثامنة تقريبًا. لم نهتم واتجهنا إلى غرفنا. انتقيت أحد الكتب الموجودة معي في حقيبتي، ودفنت نفسي في القراءة لأن الليل مازال طويلاً. وبعدما انتهيت منه ذهبت لأفتح النافذة قليلاً، لأجد عيني تقابل حائطًا أسود. انتظرت قليلاً لأفكر، ثم مددت يدي لأجدها تعانق اللاشيء. هل أنا نائم؟ وبعد قليل عرفت بأن هذا الذي أراه أمامي هو ضباب. نعم ضباب شديد لدرجة أنك لا ترى يدك أمام عينيك وأنت فيه. انتظرت قليلاً، ثم سمعت أصوات أشياء تتحطم، وصمت كل شيء بعدها.

بالطبع لم أنم.
هذا الذي حدث ليلة أمس لم يكن سوى علامة لذلك الخطر الذي أخبرني والدي عنه، ولكنني لم أفهم. مجرد ضباب وصوت أشياء تتحطم. نزلت إلى الشارع وحدي، لأجد سيدة كبيرة السن تصرخ وتقول إن ابنها ليلة أمس قد اختفى.
واستمر هذا السيناريو تقريبًا ثلاث أيام. ثلاث أيام من حوادث الاختفاء والضباب الذي يملأ تلك المدينة. ولكن بعد كل هذا كانت الحياة مازالت هادئة، إلى أن جاء ذلك اليوم الذي سمعنا فيه صوت صراخ غير آدمي في شوارع المدينة. كنت أمشي وحدي قليلاً في شوارع المدينة كعادتي منذ جئت هنا، لأجد أمامي عملاقًا ضخمًا للغاية، طوله يصل إلى حوالي ثلاثة أمتار، بشع الخلقة، كثيف الشعر، يبدو آتٍ من أسوأ كوابيسي. تخطاني بقفزة يعلم الله وحده كيف قفزها، ثم ركض نحو محلات الطعام، ليحطمها ويسرق منها ما يستطيع سرقته، ثم ابتعد مجددًا. ركضت وراءه لأتبعه، والناس يبدو عليها برود شديد كأن شيئًا لم يحدث. وعندما رآني (يوسف) وأنا أركض خلفه، صرخ فيّ وطلب مني أن أتوقف. لم أهتم وظللت خلفه، إنه لا يركض بل يقفز ناحية الغابة. وبعد لحظات من الركض اختفى من أمامي. ظللت أركض حتى شعرت برياح ساخنة آتية من خلفي. نظرت

للخلف فوجدته، هو بشحمه ولحمه، يقف أمامي، وينظر لي نظرة خاوية من أعين مشوهة لم أر مثلها من قبل. نظرة خاوية شعرت من خلالها بأنه متردد لا يعرف ماذا سيفعل. ظللنا متجمدين في أماكننا لثوان مرت كقرون. ثم بعدها سمعت صوتًا يدوِّي في عقلي ويقول لي بصوت واضح: "ليس الآن!"

وركض العملاق حتى اختفى من أمامي.

في طريقي للعودة وجدت (يوسف) يبحث عني، وعلى وجهه أعتى علامات الخوف والقلق. وعندما رآني ركض نحوي، وصفعني صفعة خفيفة على وجهي، ثم قال: "إلى أين ذهبت أيها المجنون!؟ كيف تركض خلفه هكذا!؟"

نظرت له في صمت، وابتسمت.

وبعدما عدت إلى غرفتي جلست أفكر..

هل هذا هو الشر الذي قال لي أبي أن آتي إلى هنا لأحاربه؟

شكله يوحي بأنه أكثر إنسان شرير على وجه الأرض، ولكن لماذا لا أشعر بأنه كذلك!؟ وأيضًا لو كان شريرًا لقتلني عندما كنت أمامه. ولكن لم يحرك جفنًا عندما رآني. وأيضًا لماذا أشعر بأنني رأيته من قبل!؟ لا أعرف. يبدو أنني سأظل في تلك المدينة مدة لا بأس بها.

عندما ذهبت إلى النوم.. بالطبع فراغ كبير في البداية، وبعد قليل وجدت هذا المسخ الذي رأيته اليوم، ظهر فجأة، ثم قال اسمي، ففزعت واستيقظت من نومي مذعورًا. انتظرت حتى انتظمت

دقات قلبي، ثم قمت لأشرب بعض المياه. وذهبت لأفتح النافذة، فكالعادة كل ما قابلني هو الضباب. لا أعرف ما سبب كل هذا الضباب، ولكن شيئًا سيئًا كالعادة سيحدث الآن. وبعد قليل حدث السيناريو المتكرر الذي يحدث كل يوم. صراخ، أشياء تتحطم. هذه المرة لم أستطع أن أكبح نفسي، فركضت ناحية الشارع، ولكنها لم تكن فكرة جيدة على الإطلاق. فبالمعنى الحرفي للكلمة لم أستطع أن أرى يدي أمام عينيّ. وبعد قليل تسمرت في مكاني قليلاً، ثم سمعت من يصرخ في عقلي ليس أذني، ويطلب مني أن أهرب.

ظللت في مكاني، الضباب يحاوطنى. لعن الله من فعل بي هذا، وجعل عيني ترى لونين فقط. الضباب ينقشع ويصطف على جانبي الطريق مفسحًا مجالاً للرؤية، لأرى بوابة الكهف! الذي أكاد أقسم بأن بوابته تلك من المفترض أن تكون في الجانب الأخر من البلدة!

تحركت كالمسحور نحو البوابة كأنها تستدعيني. أسمع هذا الصوت يصرخ في عقلي <<اهرب!>> ولكن لا أهتم. الكهف يقترب مني والضباب يتحرك في جنون.. البوابة تفتح وكنت على وشك الدخول، ولكن لم أدخل؛ لأنه في جزء من الثانية، وجدت من يحملني على كتفه ويقفز.

وبعد قليل عرفت أنه المسخ الذي رأيته منذ عدة أيام. جلسنا قليلاً بعيدًا عن الضباب وعن الكهف، وأنا مازلت أجمع شتات

نفسي.
دوّى صوته في عقلي، وقال لي بإنجليزية سليمة: "ألم أطلب منك الهرب!؟"
فرددت عليه عن طريق عقلي: "لا أعرف، لقد سمعت صراخًا، فركضت مباشرة لأعرف ما الذي يحدث، قبل أن يقترب مني الكهف"
نظر لي وابتسم، ثم دوّى صوته في عقلي مجددًا، ويبدو أن طريقة حديثنا ستكون هكذا دائمًا: "حسنًا.. اسمي (كلارك).. من حسن حظك أنني كنت بجانبك في تلك اللحظة. دخلتُ مرغمًا لأنك تقريبًا الوحيد الذي يستطيع أن يساعدني"
- "أساعدك في ماذا؟"
- "أن نقضي على هذا الضباب وما بداخل الكهف. اعتقدت أن هذا مفهوم بالنسبة لك"
- "ولماذا أنا بالتحديد!؟"
- "لقد رأيتُ كل شيء. أنا داخل عقلك. عقلك مفتوح لي ككيس من المكسرات"
ارتجفت من التعبير الشاعري جدًا في الواقع، ثم قلت له: "هل يصادف أن يكون لديك أي معلومات أو أي خطة؟"
- "لا.. أنا لا أستطيع أن أدخل مجددًا وسط هذا الضباب. أرى أشياء غريبة تجعلني أرتجف، كأنه يحاول أن يضمني إلى الكهف بأي طريقة ممكنة. شعور غريب أليس كذلك؟"

ابتسمت وقلت لنفسي "إذا كان هو يرتجف هكذا، ما الذي يمكن أن يكون بيدي لأفعله!؟"

قلت له: "حسنًا.. سأجد حلاً.. سأسأل وأعرف ما الذي يحدث هنا"

رد قائلاً: "في الوقت الذي تكون مستعدًا فيه، اصرخ بأعلى صوت لك في عقلك"

هززت رأسي موافقًا، وطلبت منه أن يعيدني إلى منزلي. الأيام القادمة ستكون مخيفة.. مخيفة إلى أقصى الحدود، أنا أشعر بهذا...

(11)

كتبت لـ(يوسف) كل شيء حدث، وطلبت منه أن يسأل أهل تلك المنطقة عن هذا الكهف.

بعضهم أجاب، وقال إن الأرض تفقد حرارتها هنا بسرعة شديدة، وهناك الرطوبة؛ والبعض أجاب بهراء لم أفهم منه أي شيء، والبعض الثالث لم يكلف نفسه بالإجابة، مجرد يرسم الصليب في الهواء ويرحل. وبعد الكثير من هذا الهراء، قال لي أحدهم أن نسأل قس الكنيسة، فدخلنا الكنيسة أنا و(يوسف)، وكانت أول مرة أرى كنيسة من الداخل. بحثت عن القس فوجدته في الحديقة يُطعِم الطيور. عرَّفه (يوسف) بأنفسنا، وعرَّفنا هو بنفسه. كان هَرِمًا بشكل لا يصدق، وبدأ في الحديث عن المذهب الإنجيلي، فاستوقفه (يوسف) وسأله عن موضوع الكهف فقال: "الكهف موجود من قبل أن نأتي نحن.. من قبل أن نضع أساس المدينة. البوابة كانت دائمًا مغلقة ومن يحاول فتحها في ليالي الضباب يختفي للأبد.. كنا نسمع دائمًا الأصوات تنادينا من داخله ولكنها لم تكن أصواتًا عادية.. (صمت للحظات متأثرًا) لقد كانت أصواتًا لأشخاص فقدناهم من قبل..

فسأله (يوسف): "هل عاد أحدهم من قبل؟"

قال: "لم يعد أي أحد.. إنهم ضعفاء في مواجهة الأشياء الدينية؛ لذلك استطعت الهرب في آخر لحظة منهم منذ زمن بعيد"

شكرناه كثيرًا، وقبل نخرج نظر إلي نظرة ذات معنى ثم قال: "ابتعدوا عن هذا الكهف؛ فالشيطان يختار جنوده من خلاله"، ثم خرجنا وعدنا للفندق بدون أي كلمة. وبعدها ظللت عدة أيام أفكر هل سأدخل أم لا، ولم أستطع الوصول لأي شيء. وكل يوم أسمع الصراخ بدون أن أتحرك؛ لأنه ليس لدي أي شيء في يدي لأفعله.

في النهاية لم تحتمل أعصابي أكثر من هذا. طرقت باب (يوسف) وكتبت له أنه يجب أن ندخل إلى هذا الكهف الآن مهما كانت النتيجة. السكان أعدادهم تتقلص يومًا بعد يوم. تسلحنا ببلطة وعصا غليظة قبل أن نذهب، وتحركنا. وقبل أن نذهب صرخت في عقلي بأقوى قوة ممكنة، وفتحنا الباب ودخلنا وسط الضباب مجددًا. جاء (كلارك) سريعًا، مرت لحظات ثم انقشع الضباب وكأنه يعلم نيتنا المسبقة في الدخول إلى الكهف، وبيَّن لنا الطريق حتى نمر بسلام..

الضباب يتلوى ويُظهر وجوهًا لأشخاص يتألمون في الجحيم، وكأنهم لا يعرفون طريقًا للخروج..

(كلارك) يبدو عليه الخوف، فتمسكت ببلطتي وتقدمتهما. عندما وصلنا لباب الكهف الذى يبدو كوجه شيطان نافق يريد أن يبتلعنا ليعود إلى الحياة مجددًا..

نظرت إليهم وابتسمت، ثم مددت يدي نحو الأقفال، فتساقطت واحدًا تلو الآخر، وابتلعنا الكهف إلى داخله. الظلام يحيطنا!

الجو هادئ بالداخل إلا من صوت (كلارك) و(يوسف). طلبت منهما الهدوء والالتفاف من حولي، فأضاءت الأضواء فجأة ورأينا شيئًا لم نتوقعه على الإطلاق!
لقد كانت غرفة مكونة من المرايا!!
المرايا تحاوطنا من خمس جهات، وفوقي لم يكن هناك سوى فجوة سوداء لا يظهر منها أي شيء إطلاقًا، (يوسف) و(كلارك) لا يدريان ما هذا العبث، ويحدقان بصورتيهما في المرآة.
صرختُ فيهما ألا ينظرا للمرآة، ولكنهم كالمسحورين ظلا يتابعا صورتهم في المرآة..
مرت دقيقة كالدهر..
وبدأت الظلال في العبث؛ ظل سريع نشعر به يركض داخل المرايا..
وجاء الجنون سريعًا.. وجدتُ (يوسف) يصرخ في صورته ويقول إنه لم يخطئ أبدًا.. (كلارك) بدأ في ضرب المرآة بقبضته وهو يقول: "أخرجوني من هنا!"
هكذا بدأ القتال وأنا أنظر إلى أعلى أتمنى أن يأتي الخلاص من هذا الجنون والفخ الذي اُستدرجنا إليه..
سمعت الصوت يدوي في أذني..
<< مرحبًا بك. أنا أنتظرك منذ زمن>>
نظرت إلى المرآة لأجد هذا الكائن الرمادي ينظر إلي بكل سخرية.

هاجمتُ المرآة بالبلطة ولكنها لم تُخدش حتى. ضحك في سخرية. صوت (يوسف) يتردد من حولي وهو يحارب أعداءً وهميين، و(كلارك) يجلس في ركن الغرفة وهو يردد "أخرجوني من هنا!"..

الظلال مازالت تتحرك والمرآة تحدثني، ويميني ويساري أتخيل أن شبيهي الموجود بداخلهم يحدق إلي بثبات، والأعداد اللانهائية مني من النسخ في المرايا..

كلهم يتحركون مثلي ويهاجمون مثلي، ولكنهم ينظرون إلي في ثبات.

هدأ كل الصوت، على الرغم من (يوسف) الذي يصرخ، و(كلارك) الذى يبكي، سقطت على ركبتي، لم تسقط النسخ وظلت تنظر إلي، ورأيت الرمادي اللعين يضحك وهو يقول:

"حان وقت الألعاب"

فسقط من أعلى قوس وسهم وسيف وخنجرين.

لم أعرف ماذا عليَ أن أختار..

تركتُ البلطة لتسقط من يدي، ولم تصدر أي صوت، وكأن أي صوت سوى صوت الرمادي من المحرم عليه أن يدخل الى هذا المكان!

"أنتَ في مشكلة كبيرة!"

دوى الصوت في عقلي مباشرة، وأكمل: "استخدم القوس أولاً"، فأمسكت بالقوس ووضعت السهم بهدوء وشددت الوتر.

ولكن إلى أين سأسدد؟؟ إلى أي مرآة؟؟
المرايا كلها تتشابه وتقود إلى طريق واحد وهو الجنون.
الملايين من النسخ مني تنظر إليّ في ثبات.. أرى عائلتي وأرى أبي.. (يارا) تعانقني من الخلف.. (هشام) يقف بجانبي ويبتسم إلي.. الظلال تركض من حولي وتنتظر تلك اللحظة التي سأجن فيها وأسقط ليمثل الرمادي بجثتي..
بدأت المرايا في التغير إلى صورتي وأنا مقتول بكافة الطرق الموجودة في العالم، ثم تحولت إلى اللون الأحمر بعد أن صبغت بدم نسخي المقتولة في المرايا.
نظرت إلى أعلى وأنا أصرخ، ثم أطلقت السهم، وطلبت من (يوسف) و(كلارك) أن يحتموا، فنظروا إلي غير مصدقين لما يحدث، فوقف (كلارك) وغطانا بجسده.
وبدأ سيل السهام في التساقط..
تعالت الأصوات من حولنا، أصوات بدت لنا كفحيح غاضب. نظرت إلى وجه (كلارك) فوجدته يبتسم وهو يخبرني بأن كل شيء سيكون على ما يرام.
هدأ صوت الفحيح، وسقط (كلارك)، ورأيت السهام التي غطت ظهره بالكامل فبدا كسلحفاة عجوز، ولم يصدر أي صوت، ثم لاحظت تغير المكان من حولنا وكأننا في قلب عاصفة هوجاء، وأمامنا يقف الرمادي ويقف خلفه العديد من أبناء جنسه.
العاصفة تزأر من حولنا، وتدور فتمنعنا من الخروج؛ فنحن الآن

في منتصف اللامكان. أمسك (يوسف) بالسيف وأمسكت أنا بالخنجرين بشكل غير محترف.

أشار الرمادي إلينا وهو يقول في سخرية: "تظنون أنكم يمكنكم قتالي!؟

الساحة ساحتي، وجنودي معي، وأنتم لستم سوى حفنة من الرماد..." (ورفع كلتا يديه ليشير إلى المكان) "...في مواجهة العاصفة"

وجدت الصوت يدوي في أذني: "أنت تملك أحد أسلحة والدك، وهذا الرمادي مغرور يظن أنك لن تقدر على هزيمته.. يجب عليك أن تمسك الخنجرين هكذا..." وبتلقائية انصاعت لأوامره الخناجر، واستقرت في راحتي بشكل احترافي، وتحليت بشجاعة ليس لها مثيل، فبدأت الهجوم.

فردت ذراعي عن آخرهما وركضت ثم هاجمت..

الكائنات الرمادية أمامي، وكل ما أراه أمامي في تلك النوبة التي أشعر بها هي أعناقهم وأنا أذبحهم بخنجري.

كل هذا حدث في لحظات.. هاجمني الأول فتفاديت أنيابه وضربته بالخنجر، فلاحقني الثاني، فوضعت الخنجر عبر جمجمته مباشرة، فالتف حولي ثلاثة رماديين فدرت حولي نفسي في حركة استعراضية وجعلت كل خنجر يأخذ نصيبه من أعناقهم في ضربة واحدة، ليتحول الثلاثة إلى رماد متناثر في لحظة.

توقفت لألهث في عنف، ثم ركضت نحو باقي الرماديين وأنا

أطيح بهم واحدًا تلو الآخر، حتى وصلت إلى الرمادي القائد وبدأت في مهاجمته، فأطاح بي بضربة واحدة لأسقط بداخل العاصفة.

العاصفة تأخذني إلى الشمال، وترجعني إلى الجنوب.. تبعثرني تفككني.. أشعر بنفسي أتلاشى..

من أنا؟؟ أين أنا؟؟

لم أعد أدري من أنا.. كل ما أراه هو الخنجرين يضيئان..

ينتظران أوامري، ولكن من أنا؟؟ كيف أتيت الى هنا؟؟

لم أعد أدري ما هو شكلي؟ أين هو جسدي؟ وكيف تبدو قوتي؟

الظلام يدخلني ويفككني تمامًا، وأشعر بأنني لم أعد أنا.

الرؤية تنعدم، وأنا مازلت أقاوم وأحارب.

الظلام يكبلني ويقيدني إلى الأرض. لا أستطيع التحرك على الرغم من محاولاتي المستميتة. رأسي مرفوع إلى السماء ولكن ليست هناك أي سماء!

الظلام من حولي، وأرى أعينًا نارية في وجه عريض بدلاً عن السماء..

حدقت قليلاً بها وأنا أشعر بالرعب. العيون مثبتة عليّ وتتفحصني بوقاحة.

لا أستطيع الاختباء أو الهرب؛ فالعيون تعريني تمامًا وتبحث وتركض بداخلي بمخالب من نحاس وأقدامٍ من حديد، وتمزق كل ما يوجد أمامها.

قاومت أكثر فأكثر. شعرت بالأعين ترتجف من مقاومتي، فقاومت أكثر حتى فقدت الوعي.

أفتح عيني ببطء ولكني لا أرى سوى الظلام. فعلمت أن لمقاومتي فائدة. قاومت أكثر، فظهرت نقطة مبهرة من بعيد وكانت تقترب مني وكأنها شيء يركض نحوي بسرعة الضوء. وسرعان ما ظهر أمامي، فوجدته محاربًا يرتدي عتاد الحرب ويمسك في يديه بالخنجرين. نظرت إليه في خوف، فابتسم لي في ود، وأكمل نحوي ليخترقني، وأرى أن الخنجرين أصبحا في يدي، وأملك من القوة مالم أملك من قبل.
حطمت قيودي بسهولة وحلقت في الظلام وأنا أرى كل ما يحدث خلف جدار العاصفة..
نظرت إلى نظرات (يوسف) الخائفة وهم يحاطونه، والرمادي القائد ينظر إليه في ثقة ويقترب منه لينهي حياته، فألقيت بالخنجر نحوه ليخترق جانبه، وسحبته الى الداخل..
على وجهه علامات عدم الفهم.. كيف يمكنني أن أسحبه إلى لعبته المسحورة!؟ كيف يمكنني أن أقتله!؟
فنظرت إلى عينيه الخائفتين؛ لأرغمه وأجعله يتأكد من أن من قتله هو بشري. قبل أن أضع النصلين عبر رقبته ليتقابلا ويتحول إلى رماد منثور كما شبهنا من قبل. ثم قفزت إلى داخل العاصفة لأنقذ (يوسف)، وهدأت العاصفة من حولنا وعدنا إلى

أرض الواقع، ومن حولنا تناثرت أجساد أهل المدينة التي كانت محبوسة من قبل الرمادي. لقد انتهى كل شيء هنا...

(12)

وأنا الذي عندما رأيت جنود الرمال ظننت أنني رأيت كل شيء!!
حصلت على كدمات في كل جسدي، وصوتي مازال مبحوحًا، ولكنني ربحت. على الأقل استطعت أن أرتقي للدرجة الثانية، وهذا يعني أنه مازال أمامي درجة أخرى حتى أصل للمعرفة النهائية لكل شيء حدث لي خلال تلك الأشهر السابقة، والثمن بالطبع هو تلك الحروب التي تم إقحامي فيها عنوة.

وبعد أن انتهينا كالعادة من تلك الاحتفالات، ورفعي فوق الأعناق من قبل أشخاص لم أتعامل معهم طوال ذلك الشهر الذي أمضيته هنا، وعرفت بالطبع بأن الصوت الذي كان يحدثني كان صوت (المندوب).. هل كان المندوب هو (كلارك)؟؟ لا أستطيع أن أتأكد الآن!

بعد أن انتهى كل هذا، عدت لغرفتي وأنا منهك. نظرت لـ(يوسف) بنظرة امتنان شديدة، فابتسم لي، وأغلقت باب الغرفة، فبدأ الجحيم مجددًا!

أحاول أن أقنع نفسي بالعدول عن النوم؛ لو نمت الآن سأكون قد انتهيت، ولا أعرف ماذا سأخسر الآن.

أضأتُ كل ضوء موجود في الغرفة، وذهبت لأصنع لنفسي كوبًا من الشاي. أسندت رأسي على حائط المطبخ، منتظرًا ذلك الكوب الذي سيجعلني مستيقظًا لنصف ساعة على أقل تقدير. أغمضت

عينيّ قليلاً، فوجدت نفسي على وشك السقوط في بئر النوم العميق، الذي أظن أنني لن أخرج منه هذه المرة إلا بخسائر فادحة. سمعت صوت صفير انتهاء غليان الماء، فتثاءبت وصببته في الكوب. أخذته وجلست على الأريكة، ونظرت للحائط أمامي. أمسكت الكوب في يدي تحسبًا للطوارئ حتى أشعر بحرارته وأظل مستيقظًا. ولكن هذا كله في النهاية لم ينفعني بأي طريقة؛ لقد نمت، وبدأ حلمي الثاني.. للأسف!

في البداية كالعادة ظللت أرى أحلامًا عادية جدًا، وفي كل حلم أحاول أن أوقظ نفسي من النوم فلا أستطيع. وبعد قليل وجدت شيطاني، الذي حتى الآن لا أعرف من هو، يبتسم، ثم يرفع يده برقم اثنين، وبعدها سقطتُ سقوطًا طويلاً جدًا في الظلام. وفي النهاية وجدت نفسي أمام مستشفى كبير. اللعنة! سيكون هذا رائعًا للغاية!

الشمس موجودة كأسطع ما يكون، والسماء صافية تمامًا. كنت دائمًا منذ صغري أخشى كل أفلام الرعب التي تحدث خلال فترة النهار؛ لأن الليل دائمًا هو مكان كل الرعب، ولكن فكرة أن أواجه أي شيء خلال فترة النهار هي الأكثر رعبًا على الإطلاق؛ لأنه لا مجال للتشكيك في الذي يحدث أمامك.

البوابة مفتوحة على مصراعيها، المستشفى تتقدم نحوي وليس العكس. عبرت البوابة فأُغلِقت الأبواب تلقائيًا كالعادة. لم أشغل نفسي بكل السخافات التي تحدث عندما تُغلَق الأبواب من تلقاء

نفسها، فقط نظرت نظرة عابرة، ثم عدت مجددًا أنظر للمستشفى، فوجدت أمامي سيدة جميلة، قالت لي: "اتبعني".
تبعتها، ودخلنا المستشفى. كانت واسعة ومليئة بالحجرات التي يطل من نوافذها أشخاص عرفوا معنى الجنون المجرد.. الجنون الخام الآتي من أشخاص خُلِقوا من أجل الجنون، مثل (إدجار آلان بو)، و(ماري الدموية)، ولا يوجد أي ممرات. بعد قليل وصلنا لنهاية الممر الذي كنا نمشي فيه أنا وتلك المرأة، غرفة بابها عملاق نسبيًا، ومطبوع عليه مثلث شكله مميز. شعرت بعدم الارتياح لأنني تذكرت كلام والدي عن المثلث. طرقت باب الغرفة ثم دخلت. غرفة واسعة للغاية، كل شيء فيها متناسق لدرجة تثير الغيظ. أبيض وأسود في كل مكان بتناسق غريب. وبها مكتب كبير، يجلس خلفه ألد أعدائي؛ ذلك الشخص الذي يأتي في أحلامي، ويرتدي بذلة كاملة، وخلفه نافذة لونها داكن على الأرجح؛ لأن الشمس أسطع ما يكون الآن، ومن المستحيل أن تكون أظلمت بتلك السرعة حتى ولو كنا نحلم. ارتجفت قليلاً، وظللت أنظر له، فابتسم وأشار إلى المقعد المقابل للمكتب فجلست.
بصوت غريب لن تصدقه ما لم تسمعه: "كيف حالك يا (كامل)؟ كنت أنتظر هذا اليوم الذي أتحدث فيه معك هكذا وجها لوجه. بالمناسبة، يمكنك استخدام صوتك هنا كالسابق"
شعرت بالخوف كطفل ينطق كلمته الأولى: "حسنًا.. من أنت؟"

عدَّل من ربطة عنقه: "أنا أسود كوابيسك.. أشرّ رغباتك.. أسوأ مخاوفك. أنا بلا فخر النسخة الشريرة منك أنت"

نظرت له في غباء: "لا أفهم"

- "لا يهم. كل ما أريد منك أن تفهمه أنني هنا موجود في حياتك من أجل هدفين: الانتقام منك من أجل الانتقام من والدك، وقتلك. وأعتقد أنني لو نفَّذت هدفي الأول سيُنفَّذ هدفي الثاني تلقائيًا"

ظللت أنظر له ولا أعرف ماذا أقول.

نهض من مكانه، وفتح الباب، وأشار إليّ لأتبعه، ثم قال: "حسنًا.. والآن سنلعب لعبة صغيرة. اللعبة اسمها (الهروب من هنا). قواعد اللعبة هي أن تحاول أن تهرب من هنا حتى لا تظل هنا للأبد. ابدأ!"

نظرت له بكل استخفاف، ثم مشيت في ذاك الممر الذي جئت منه. وخرجت من الباب فوجدت البوابة أمامي ولكن مغلقة. حاولت أن أفتحها فلم تستجب. نظرت في الحديقة الموجودة على جانبي الطريق، فوجدت سُلَّمًا، أخذته ووضعته على السور، ثم عدَّلت من نظارتي قبل أن تسقط وصعدت. نظرت للناحية الأخرى، فوجدت سلمًا مرفوعًا على السور، فابتسمت واستخدمته ونزلت. عدلت من نفسي، ونظرت فوجدت نفسي أمام المستشفى مجددًا. وحاولت تلك التقنية عدة مرات، ولكن في كل مرة أجد نفسي عدت من نفس المكان الذي بدأت منه. ركضت بكل سرعتي ناحية اليمين، فوجدت نفسي أعود من

اليسار لأجد المستشفى أمامي. ركضت ناحية اليسار، لآتي من ناحية اليمين، والمستشفى أيضًا أمامي!! ظللت أنظر قليلاً حتى أجد حلاً لكل هذا الجنون الذي أنا فيه، ولم أشعر بهذا العملاق الذي باغتني من خلفي؛ كل ما شعرت به في تلك اللحظة هو قبضة عملاقة تعانقني من جانبي الأيمن، جعلتني أطير أربعة أمتار على الأقل.

شرخ بسيط ظهر في زجاج النظارة. عدّلتها وقمت وأنا أشعر بدوار عنيف لم أشعر به من قبل. وركضت ناحية المستشفى. كان بطيئًا للغاية، لهذا أعطاني بعض الوقت. وعندما دخلت، وجدت نصفي الآخر يقف أمامي. اختفى الدوار سريعًا، ثم تأهبت في وقفتي عندما قال: "أحضرت لك مفاجئة صغيرة. انظر حولك وأخبرني ماذا ترى"

ثم أكمل: "وحسنًا.. قبل أن تنظر، أنصحك بأن تفكر سريعًا؛ لأن حيواني الأليف لن ينتظرك كثيرًا"

نظرت إلى الخلف، فوجدت ذاك العملاق يقف خارج المستشفى. لقد نسيته تمامًا مع أن جانبي مازال يؤلمني.

سيداتي سادتي...

معكم (كامل).. بطل ذلك الكابوس الذي لن ينجو منه أحد. أنا الآن في أكبر مأزق وقعت فيه طوال حياتي؛ على يميني ترون آخر شخص أتمنى أن يكون هنا: (يارا)، حبيبتي الأولى والأخيرة، مقيدة بطريقة (قدمين إلى يدين)، وتتحرك للأمام

وللخلف كمرضى التوحد، وتردد كلمة واحدة فقط "(كامل).. (كامل).. (كامل).. (كامل).."، وعيناها تنظران للفراغ. وعلى يساري ترون صديق عمري الوحيد، الذي لن أستطيع أن أجد مثله في هذا العالم: (هشام)، عاري الجسد، مغطى بالجراح، مقيدًا إلى الحائط بجنزير حديدي. وينظر إليّ في ضعف. وأمامي ترون إذا أملتم رأسكم لليمين قليلاً ملاكي الحارس (يوسف)، فاقدًا للوعي، وكل جسده مقيد باستثناء رأسه.

أكمل كلامه قائلاً: "أمامك اختياران.. تختار أحدهم ليموت حالاً، أو تحاول أن تهرب عبر الممرات. وملحوظة صغيرة: إذا دخلت تلك الممرات لن تعرف من سيموت منهم"

عندما انتهى، ابتسم ثم اختفى. وفي تلك اللحظة التي اختفى فيها، سمعت صوت أقدام هذا العملاق. أعطِني ثانية أفكر فيها!

"إنه يقترب! ماذا أفعل؟ ماذا بيدي لأفعله؟"

"بضع خطوات وسيكون خلفي!"

حسنًا.. سأغامر بأن أركض عبر تلك الممرات التي ظهرت من العدم.

هل كان يمزح معي؟ أول ممر دخلته كان عبارة عن ممرات متداخلة. قررت أن أكمل وأعتمد على حظي، السيئ للغاية في الواقع، ثم أكلمت. وبالطبع بعد ثالث ممر لم أعد أعرف أين أنا. ولكن اللعين لم يكن يفارقني كأنه يعرف ما هي الممرات التي سأختارها. إنه خلفي مباشرةً! أكاد أشعر بأنفاسه الخبيثة، ويديه

عندما تحاول أن تمسك بي فتفشل. والعجيب أنني لم أر وجهه حتى الآن! وآخر ممر دخلت فيه وجدت أمامي (يوسف). لم أستطع أن أتوقف، ظللت أركض وعبرته، على أمل ضعيف أن يتركه ويظل يتبعني. ظللت أركض عدة أمتار، ولكنه توقف للأسف.. توقف. (يوسف) هادئ للغاية ينظر له، وهو بشع الخلقة، يملك جسد دب ووجه حرباء. ظل ينظر له و(يوسف) يبادله النظرات، وبعد ذلك نظر لي (يوسف) وابتسم، وقال: "لقد حققت لي أمنيتي الوحيدة؛ أن أموت ميتة مشرفة"

ثم نظر له وابتسم في سخرية، فوجدت ذلك الكائن يلعق شفتيه بلسانه في تلذذ، ثم أمسك برقبة (يوسف)، ولواها للخلف كأنه يفتح زجاجة مياه غازية. صُعِقتُ في مكاني، وهو يبتسم ويزيل رأسه ويتلذذ بدمائه. ولم أشعر بنفسي عندما تحركت قدماي في سرعة والدموع تبلل وجهي. مازلت أركض ولكن تلك المرة أسرع، وبعد قليل وجدت نفسي أمام الباب الذي بدأت أمامه الحلم. دخلته سريعًا، فوجدته يجلس في هدوء كأنه ينتظرني. نظرت له وأنا أبكي، ثم نظرت لتلك النافذة خلفه، وقررت أن أجرب حظي. ركضت نحوه وهو مازال يحتفظ بهدوئه، ثم تخطيته وقفزت عبر النافذة. وآخر صوت سمعته هو صوت تحطم النافذة ممتزجًا بصوت غضبه هو.

فراغ عميق للغاية سقطتٌ فيه، كالذي بدأت فيه حلمي، وبعدها استيقظت، لأجد كوب الشاي مازال ساخنًا كما أعددته، وكل

شيء حولي كما هو، والساعة لم تتغير سوى بضع دقائق. ألقيت بالكوب، ثم ركضت بصعوبة ناحية غرفة (يوسف) وطرقت الباب بعنف. لا أحد يجيب! عدت سريعًا لأحضر نسخة المفاتيح التي أعطاها لي، وفتحت بها الباب، لأجد رمادًا! رمادًا يملأ الغرفة، ويغطي الحائط والسرير وكل شيء. وبين كل هذا الرماد وجدت شيئًا بارزًا.. شريط فيديو. لقد كان على وشك أن يأتي ليعطيني هذا الشريط قبل أن يُقتَل. أخذته، ثم أزلت عنه الرماد، الذي مازلت لا أصدق أنه رماد (يوسف)، وعدت لغرفتي، وكل ما بداخلي هو الغضب والألم. وقفت أمام المرآة، وعريت عن جانبي، لأجد بقعة كبيرة زرقاء تغطي معظم جانبي. هذا رائع بالفعل!

(13)

شغّلت شريط الفيديو الذي أخذته منذ قليل. فراغ كالعادة في البداية، ثم ظهر أبي، يبدو العزم والقوة عليه لأول مرة منذ رأيته قبل حوالي ثلاثة أشهر. بدأ كلامه قائلاً: "اسمعني جيدًا يا (كامل)؛ لأن معركتك على وشك البداية. هذه تقريبا آخر رسالة ستراها مني، فلذلك اسمعني جيدًا؛ لأن تلك المعلومات التي سأقولها الآن ستُجِيب عن كل تساؤلاتك. بدأ الموضوع بالتحديد عندما كنت أنت في حوالي السابعة من عمرك؛ أي بالتحديد سنة ١٩٩٧. ذهبنا أنا وأمك في رحلة، وكنا كما قلت لك سابقًا على سفينة في المحيط الهادي. كانت الرحلة مستقرة تمامًا، حتى تم خطفنا"

ظهر الانفعال الشديد على وجه والدي، ثم أكمل: "لا أعرف بالضبط ماذا حدث عندها، ولكن وجدنا أنفسنا نقف في مكاننا، والسفينة تغوص في مكان أسفل جاف. وعندما استوعبنا ماذا حدث، عرفنا سبب كل شيء يحدث لك الآن"

: "الرماديون.. كانوا موجودين هنا منذ فترة طويلة للغاية، أعتقد أنها تعود إلى بداية الحضارة التكنولوجية للبشر.. يعيشون تحت الأرض. وعاشوا دائمًا على خطف البشر وإجراء التجارب عليهم. حتى عرفوا كل نقاط القوة والضعف للجسد البشري. واستخدموا أيضًا البشر في تجاربهم الخاصة بالسحر، حتى

صاروا الأفضل في مجال السحر على الإطلاق. كانت لديهم قوة تكنولوجية هائلة، ولكن لسبب ما لم يستخدموها سوى في الأبحاث والتجارب"

أتبع موضحًا: " إنهم ينقسمون إلى جزأين: الرماديون طوال القامة، وهم القادة في أي جيش أو أي قاعدة أساسية لهم، وهم يكونون دائمًا الأطول والأذكى، واختيارهم يتم عن طريق جينات منتخبة. وكل قائد منهم لديه قوة تميزه عن الآخر. والرماديون قصار القامة، دائمًا ما يشبهون الزواحف، وهم يمثلون الجيش والعمال، ودائمًا تتم السيطرة عليهم عن طريق العقل؛ حتى لا يحدث لهم أي حالة من الخوف أو التمرد. وبالطبع لديهم مشاعر مثلنا، ولكنهم استطاعوا إلغاء أي مشاعر تُضعِفهم، وطوروا من المشاعر التي تجعلهم أقوى"

ثم أضاف: "التواصل بينهم يكون عن طريق التخاطر. أجسادهم طويلة ورفيعة للغاية، على الرغم من ذلك هم أقوياء ويملكون رأسًا ضخمًا للغاية، وليس لديهم أي شفاه أو أنف؛ باختصار يشبهون الكائن الفضائي الذي يأتي في أي فيلم أجنبي. يُسخِّرون التكنولوجيا الخاصة بهم من أجل التكاثر. مرة مع أنثى بشرية، مرة أخرى مع أنثى ثعبان؛ دائمًا ما يختارون الحيوانات القوية أو الخبيثة حتى يتكاثروا معها. نظام حكمهم يعتمد على المثلث؛ أي منطقة لهم في أي مكان يجب أن يكون لها ثلاثة قادة؛ الثلاثة يكملون بعضهم البعض، ولكن نقطة ضعفهم أنه لو تمت مهاجمة

أي جزء في المثلث، تنهار بقية الأضلاع"
وأتبع موضحًا: "هم السبب في أي مشكلة غير طبيعية تحدث في العالم. هم السبب في حادثه (روزويل)، والقضاء على أطلانطس، ويسيطرون على المنطقة ٥١، وبالطبع مثلث برمودا من أهم القواعد التي يملكونها. لديهم دائمًا قاعدة تحت كل مقبرة كبيرة موجودة في أي مكان؛ ليصطادوا أي جثث تأتي لهم. تقريبًا مصدرهم الأساسي في كل شيء هو أجساد البشر، سواء كان الطعام أم الأبحاث أم تجارب السحر؛ أي أنهم يصلون للبشر سواء أحياء أم أموات"
عاد صوته إلى قوته وهو يتبع: "نعود لجزء الاختطاف الذي حدث لنا. قسَّمونا إلى مجموعات، وجعلوا كل مجموعة تدخل ممرًا معينًا. وبصعوبة بالغة للغاية استطعنا الهرب أنا وأمك؛ لأن المجموعة التي كنا فيها لم يكن عليها أي حراسة على الإطلاق. وجدنا أنفسنا في متاهة غريبة وكبيرة، وبالصدفة البحتة، لسوء حظنا، دخلنا غرفه مليئة بالمفاتيح. دمَّرنا وضغطنا كل الأزرار تقريبًا وهربنا. ومن خلال تلك المتاهات لم نستطع أن نعود للسفينة، وعرفنا أننا ضغطنا زرًا للتدمير الذاتي. تم تدمير المكان تمامًا، وحدث انفجار كبير في المحيط الهادي، أظن أن العلماء فشلوا في تحديد سبب هذا الانفجار. ركضنا لأميال، وخرجنا من كهف في جمهورية تدعى (ناورو)، ومن هناك استطعنا أن نعود لمصر، وبدأ الجحيم! بدأت أشياء غريبة في الظهور؛ جنود منهم

يهاجمونا، ثعابين، عقارب، فئران. لم تقدر أمك على تحمل كل هذا فانتحرت، وكنت على وشك أن أنتحر أنا أيضًا، ولكنني هاجمتهم مجددًا في أماكن جيوشهم، استطعت معرفتها من قائد منهم بعدما استطعت أسره بصعوبة بالغة. سلَّمت لهم نفسي بعد أن فشلت في تدميرهم، ثم هربت منهم مجددًا. أنا أعلم أنهم قادمون. أعتقد أن هذه آخر رسالة ستراها مني. القائد عزم على تدميرك وتدميري. يدعى (ألياس)"

"لن يتركوك يا ولدى. سيطاردونك وسيحاربونك، وإذا قاومتهم سيحاربونك أكثر فأكثر حتى تستلم لهم. إنهم يملكون السحر والقوى والبشر ويملكون أتباعهم في السماء.. لقد كان مخططهم من البداية أن يأتوا بأهل سمائهم الى الأرض ليعيثوا في الأرض فسادًا ويصبح الرماديين السادة من جديد"

ثم ختم رسالته قائلاً: "أتمنى أن تستطيع أن تقاوم؛ لأنه من الآن ستبدأ مرحلة جديدة لا تمت بأي صلة لكل الذي مضى. آخر مكان ستذهب إليه هو جزيرة صغيرة بجانب (إيطاليا) تدعى (تسيرس)، وستكون هذه آخر رحلة. أحبك يا (كامل)"

....

الرماديون!

اللعنة! كان يجب أن أدرك ذلك أثناء معركة المرايا!

لقد قرأت عنهم من قبل، وقلت لنفسي إن كاتب تلك الأمور هو أحمق وموهوم، يبدو أنه خرج للتو من مستشفى الأمراض

العقلية ولديه شهادة معاملة أطفال!!
ولكن للحظة، لو فكرت وقلت ما هو الشيء الطبيعي في حياتي الآن يجعلني لا أصدق أمرهم؟ لا أعلم ولكن لم لا!؟ وبالنسبة للوصف الذي وصفه أبي منذ قليل، أنا رأيت نفس ذلك الوصف عندما انتقلت إلي عالمهم، ورأيته مرة أخرى في معركتي السابقة. لقد زاد الأمر تعقيدًا، وأنا أشعر أن النهاية على وشك أن تُكتَب.
رحلت.. رحلت تاركًا خلفي ذكريات سوداء، ورماد صديق، ومدينة خالية من الاحتلال.
نفس تفاصيل الرحلة السابقة بالضبط، ولكن الاختلاف الوحيد هو أن (يوسف) ليس معي ليساعدني في أي شيء.
12 ساعة في الهواء. سألت نفسي ذات يوم: "لو لم يترك لي أبي ثروة قبل أن يختفي، ما الذي كنت سأفعله إذا حدثت نفس الأشياء مجددًا، واضطررت للسفر إلى كل تلك البلاد!؟"
وصلت، ومن المطار أخذت سيارة لتوصلني إلى أقرب ميناء؛ لأذهب لتلك الجزيرة (تسيرس)، التي تعتبر أصغر جزيرة تابعة لإيطاليا. وبعد مشوار وعناء طويل، وصلت لتلك الجزيرة.
كانت صغيرة، لا تتعدى مساحة قرية من قرى مصر، وكل ما كان يميزها أن نصفها مليء بالأشجار، والنصف الثاني به منازل فخمة للغاية. وعندما وصلت لم أجد أي أثر للبشر؛ كل ما وجدته هو الكثير من الحيوانات الضارية فقط. حيوانات ضارية

تملأ شوارع تلك المدينة الصغيرة. أسود، ذئاب، خنازير برية، حيوانات كثيرة أخرى. وحدث شيء غريب عندما رأوني؛ لقد أُجبروا على الابتعاد. لم يبتعدوا من تلقاء نفسهم؛ شعرت بأن شيء يجرهم جرًا ليجبرهم على الابتعاد والاختفاء داخل الغابات. وعندما اختفوا تمامًا حدث شيء أغرب؛ لقد خرج الناس من بيوتهم مهللين، وكأنني أنا البطل المغوار الذي خلَّصهم من عذاب لازمهم طويلاً، والأغرب والأغرب هو أن الناس الذين خرجوا من بيوتهم معظمهم نساء، والذين حملوني على أعناقهم كانا رجلين فقط، من أصل خمسة رجال يبدو عليهم الشقاء والحزن. شيء ما سيئ سيحدث هنا. وبعد كل هذا الهراء الذي يحدث، والذي مازلت لا أصدق أي شيء فيه، طلبت إحدى السيدات أن أقيم عندها لليلة لحين أن أغادر. كانت ساحرة بالمعنى الحرفي للكلمة؛ جميلة، من طراز السيدات اللائي يجعلون الرجال دمية بين أيديهم. كانت تسكن في أضخم منزل في تلك المدينة. دخلنا المنزل، كبير للغاية، ورائع من الداخل، ومليء بالتحف والتماثيل الغريبة نوعًا. أرتني غرفتي، وبعد قليل نادتني حتى أتناول طعام الإفطار. كان الطعام بسيطًا؛ عبارة عن المكرونة وكرات اللحم، وبالطبع قبل أن آكل ظللت أنظر للَّحم في توجس، فقرأتني وقالت بالإنجليزية الجيدة نوعًا ما إنه لحم بقري، فاطمأننت. وبعد الأكل أعطتني كوبًا من العصير الذي لم أدر ما كنهه، ولكن أعجبني طعمه، ثم ذهبت للنوم.

(14)

الجو أروع ما يكون.

فتحت عيني في استرخاء، لأجد نفسي في غرفتي. الألوان رائعة وجميلة كأفضل ما يكون. رؤيتي تشوَّشت قليلاً، وعيناي آلمتاني للغاية، كأنني لم أر الألوان منذ مدة. وضعت النظارة على عيني وتثاءبت.

: "(كامل).. استيقظ.. لقد نمت كثيرًا للغاية، وأنا قد اشتقت إليك"

صوت (يارا) يدوي من المطبخ كأروع موسيقى سمعتها طوال حياتي. نهضت من سريري في كسل، ثم ذهبت للمطبخ لأجد سيدتي الأولى مشغولة بتقطيع شيء ما. أمسكت بشعرها ووضعته على كتفها، قبلتها على رقبتها، وقلت: "صباح الخير يا طفلتي الجميلة"

فابتسمتْ وقالت في رقة: "فلتكف عن العبث. صباح الخير يا حبيبي"

ضحكتُ وقلتُ: "ما سر الاستيقاظ مبكرًا اليوم؟"

- "الإفطار.. ثم سنذهب لنمشي قليلاً. بالخارج الجو رائع اليوم"

- "حسنًا.. سأنتظرك بالخارج"

جلستُ على مقعدي المفضل، ثم أغمضت عيني، لأستمتع باللحظة، فجاءني هاجس بأن شيئًا ما ليس على ما يرام، عاتبت

نفسي على أنها لا تريد أن تفرح بذلك الواقع الجميل الذي حلمت به منذ فترة طويلة، فاختفى هذا الهاجس. وبعد قليل جاء الإفطار، وتذوقته كأنني لم أذق أي طعام منذ فترة. وعندما انتهينا، غيَّرنا ملابسنا، وذهبنا لنتمشَّى قليلاً كما اتفقنا. وعندما فتحنا الباب، كل ما رأته عيناي هو اللون الأخضر. أرض زراعية طويلة للغاية، يبدو أنها تمتد للأبد، والشمس أروع ما يكون، كأنها آتية من لوحات أفضل الرسامين.

هل أنا في الجنة أم ماذا؟

تعانقت يدانا، وظللنا نمشي ونتحدث ونضحك، حتى وقعنا أرضًا. وبعد فترة من الوقت وجدت (هشام) و(منى) قادمين نحونا، وابتسامة واسعة للغاية مرسومة على وجهيهما، ابتسامة ذكرتني بتلك الابتسامة المزيفة التي كانت تأتي في الإعلانات.. ابتسامه كانت تثير خوفي دائمًا. حتى (يارا) عندما أحضرت الإفطار كانت تبتسم تلك الابتسامة، وعينيها مسلطة عليّ وكأنها تريد أن تخبرني شيئًا. أقنعتُ نفسي بأن كل هذه التساؤلات التي بداخلي مصدرها أنني لم أستطع يومًا أن أفرح، لذلك تجاهلت تلك المخاوف.

حياتي أصبحت كما تمنيت تمامًا؛ منزل يطل على حديقة واسعة، أقطن فيه أنا و(يارا)، ويكون (هشام) وزوجته قاطنين بجانبنا.

هذا رائع! لا أتمنى شيئًا غير هذا، ولو كان هذا حلمًا، أريد أن أظل نائمًا للأبد.

الجو رائع للغاية. فتحت عينيّ لأجد نفسي في غرفتي. تثاءبت في تراخي، فسمعت صوت (يارا) تناديني بأن الإفطار على وشك أن يجهز. دخلتُ المطبخ في كسل، ثم أمسكت بشعرها ووضعته على كتفها، ثم قبلتها على عنقها، فابتسمت. لا أعرف، ولكن أظن أن هذا اليوم بكل تفاصيله حدث من قبل. خرجتُ من المطبخ، جلست على مقعدي المفضل، بعد قليل وجدتها قادمة نحوي وعلى وجهها ابتسامة واسعة للغاية، تشبه تلك الابتسامة المزيفة التي تأتي في الإعلانات. وبعد أن انتهينا من الإفطار، نزلنا لنتمشى قليلاً، وتحدثنا وضحكنا حتى سقطنا أرضًا. وبعد فترة جاء (هشام) و(منى)، يبتسمان تلك الابتسامة المزيفة التي رأيتها على وجه (يارا) منذ قليل. اللعنة! كأننا مازلنا يوم أمس ولم أستيقظ من النوم هذا الصباح.
وبعد هذا، أصبح كل شيء يتكرر كل يوم بحذافيره.
والغريب أنني أتحرك بآلية تامة، لأفعل كل شيء اعتدت أن أفعله. اليوم يتكرر كأنني أعيش في فيلم تتم إعادته كل يوم دون أي تغيير. كل يوم أرى (يارا) بابتسامتها المزيفة، وعينيها اللتين ستنطقان لتخبرني شيئًا ما ولكنها لا تستطيع، حتى أنني في أحد تلك الأيام سألتها وقلت: "إذا كان لديكِ ما تريدين قوله

ولا تستطيعين، قومي بأي إشارة لأفهم على الأقل ماذا هناك".
حرَّكت يديها وحركت رأسها، كأنها كانت منتظرة تلك اللحظة التي سأقول لها هذه الجملة. شيء ما غريب يحدث هنا، لا أعرف ما هو ولكن يجب أن أعرفه.
أول حلم منذ فترة. كنتُ في حالة بائسة. زجاج نظارتي مكسور ومتهالك، ومصاب بشدة، ولسبب ما كنت أرى حياتي بلونين فقط، وكنت أحارب كائنات شكلها مرعب.

(15)

الجو حار جدًا. العرق يملأ جسدي. لعابي جاف للغاية، كأنه تم تجفيفه بعناية أثناء نومي. استيقظت من النوم في هذا اليوم الغريب، الذي كسر كل ملل وروتين الأيام السابقة. الإضاءة نارية، كل شيء مدهون بلون زهرة النار البرتقالية. ناديت على (يارا) بصوتٍ عالٍ فلم ترد. بحثت عنها في أرجاء المنزل فلم أستطع أن أجدها. ضوضاء عالية آتية من الخارج، فخرجت من المنزل لأجد النيران تأكل كل ما في الأرض التي أمامي. عدت لداخل المنزل فوجدت المنزل نفسه قد اشتعل، وأيضًا كانت تمطر، ولكنها لم تمطر مياهًا بل كانت تمطر شُهُبًا. كرات نارية عملاقة تهبط من السماء، وتعانق كل ما يوجد أمامها على الأرض. الضوضاء تزداد بقوة. التفتُّ حولي وصرخت أنادي على (يارا) فلم ترد. ظللت أدور حول نفسي، وأنا أحاول أن أحتمي من النيران. وجدت (هشام) و(منى) يقفان في مكان لم تصل إليه النيران حتى الآن. ركضت نحوهما وأنا أحاول بقدر الإمكان أن أصل إليهما. وعندما اقتربت منهما نظر لي (هشام) مبتسمًا. هذا هو صديقي الذي أعرفه. قال بأعلى صوت لديه: "لقد حرَّرتَنا".

وأمسك بيد (منى)، ثم رفعا رأسيهما لأعلى وأغمضا أعينهما، ثم هبطت عليهما من السماء كرة نيران عملاقة، لتعانقهما ويتحولا

إلى رماد.
توقفتُ أنظر إليهما للحظات، ثم لسعتني النيران فعدت أحتمي بالمنزل. وعندما دخلت وجدت (يارا) بالداخل، مختبئة وهي تبكي. ركضت نحوها واحتضنتها، فقالت: "كل هذا الذي يحدث الآن هو بسبب أنك حررتنا. مجرد الشك في الواقع الذي كنت تعيشه منذ أيام، وتأكدك من أن هناك شيء خاطئ، أخرَجَنا مما كنا فيه. فترة طويلة للغاية كنا نشعر بأن هناك من يتحكم بنا، ويجعلنا نفعل كل ما يريده باستمرار كل يوم؛ من أجل أن تظل في حلم دائم حتى تموت. شعور سيئ للغاية وأنت تشعر بأن هناك من يتحكم بك كالدمية الخشبية، وأنت لا تقدر على المقاومة. ولكن عندما شعرتَ بالشك حدث كل هذا. الحلم كله تحت سيطرتك أنت. أنت الوحيد القادر على السيطرة على كل شيء الآن. تلك المدينة التي ذهبت إليها كان يسيطر عليها جيش من الساحرات. الجيش الأول للرماديين. إنهم لن يخاطروا بأن يخسروا جيشهم الأول من الساحرات، لذلك اضطروا أن يسجنوك في حلم دائم. لديهم القدرة على أن يقتلوك، ولكنهم قرروا أن يتركوك أطول فترة ممكنة لتتعذب وتعاني؛ لأن أباك جعلهم يخسرون الكثير، لذلك فهم يريدون الانتقام بأي طريقة ممكنة".
ثم أتبعت بألم: "كانت أمنيتي أن أراك مجددًا، وقد تحققت. فلتعلم أنني أحبك، وأنني أدعو الله كل ليلة أن يُبقيك من أجلي".

وابتسمت وأغمضت عينيها. وكل الذي حدث بعدها حدث بالتصوير البطيء للغاية. فتحة كبيرة في سقف المنزل قد تكشَّفت، وهبط منها ببطء شديد كرة من النيران قاصدة (يارا)، سببي الوحيد للحياة. النيران تقترب ببطء منها، وأنا أغمضت عينيّ وصرخت قائلاً: "لاااااا!"

حاولت أن أحميها، فتوقف كل شيء، كأن المشهد قد تجمد! الشهاب توقف على بعد سنتيمترات من (يارا)، وأنا أقف أمامها، وأشعر بلفح النيران. ابتسمت لـ(يارا)، ثم قلت لنفسي: "اصح!" وفتحت عينيّ للأسف...

الهواء شديد للغاية. الرؤية عادت كالسابق، أبيض وأسود. المكان حولي خال تمامًا، لا أعرف أين أنا، وكل الذي رأيته أمامي المندوب، ويبدو أنه في أسعد حالاته، وقال: "حسنا يا (كامل).. أنت الآن على وشك بدء معركتك الأولى والأخيرة. المعارك السابقة كانت مجرد تمهيد بسيط لما سيحدث الآن. لو هُزِمتَ أفوز أنا لأن المنظمة تريد شخصًا من عائلتك من أجل أن يعود التوازن. لو انتصرت أفوز أنا لأن مهمتي تكون قد انتهت. سأكون موجودًا كالعادة ولكن في هذه المرة لن أقدر على مساعدتك".

ثم ابتسم في ود: "صدقني لم ولن أجد من هو في قوتك. لو تمنيت أن أتزوج ويكون لي ولد، سأتمنى أن يكون أنت. وكما قلت لك.. إذا انتصرت أنا أفوز، وإذا خسرت أنا أفوز. بالتوفيق"

اختفى، ومشيت قليلاً لاحظت أنني أرتدي ملابس المحارب الذي أتى لي لينقذني من الظلام الخنجرين في جرابهما وأبدو كأفضل المحاربين حتى جسدي أصبح يملك من القوى مالم أملك من قبل يبدو أن الحظ أنضم الى صفي أخيرًا، لأجد كل الموجود أمامي هو جيش ممتد إلى مالانهاية عبر الصحراء، ويقودهم رأس الحرباء الذي قتل (يوسف). انتابتني حالة من الشجاعة واللامبالاة.. هذه هي معركتي الأخيرة.. فلتأتِ النهاية الآن أيًا كانت.

A hero from nothing

By: Prince ISCOTO

Stare at the ceiling
You have nothing and no one by your side
Hope no more
Nothing's gonna change, You've already died
Nightmares.. and daymares..
Suffer suffer, there's nowhere you can hide

I always used to tell myself:
"Welcome to the hell!"

To seize a chance to heal my broken wiiiing
Can a lonely loser become a hero from nothiiiing!?
I've never got prepared. I've never intended to fight
SO GIVE ME A TRUE WILL TO GAIN ALL THE MIIIGHT!

Now I see the real hell!
Stretch my hand and ring the bell ♪

انتابتني حالة من الشجاعة واللامبالاة.. ووقفت أمامه ونظرت إلى أعلى، وقلت بصوت مبحوح: "أفضل من السابق بكثير. أعرف أنك لا تستطيع لمسي؛ لأن قائدك يحتاجني حيًا. فبكل هدوء أخبره أنني أنتظره. لا يوجد وقت أضيعه مع الجنود أمثالك. ولكن لو أتيحت لي الفرصة، سأقتلك بطريقة لم تُكتَب في تاريخك"

لحظات وأتى أمامي، وابتسم بنفس تلك البذلة التي لم أعرف لونها حتى الآن ولكن سوداء بالتأكيد. أشار إليّ لأمشي بجانبه، فسألته عن اسمه فقال: "(أليـاس).. يمكنك أن تدعوني (أليـاس). تعال معي"

- "إلى أين؟"

- "الزمن.. سنمشي عبر الزمن.."

قالها وكأنه يمشي عبر الزمن كل يوم، ومشى بجانبي كأننا صديقين حميمين..

ثم دخلنا إلى مكان غريب مظلم، أو هكذا رأيته، صحراء واسعة للغاية. دققت النظر لأجد بقعة ضوء صغيرة بدأت في الاتساع، وأخذت في الاتساع حتى أصبحت في حجم تل كبير نسبيًا. وعندما نظرت بداخلها فهمت؛ لقد كانت فتحة بين عالمين.

: "هذه كانت بداية مجيئنا إلى كوكبكم. لقد دُمر العالم الخاص بنا من كثرة الحروب بين العشائر الثلاثة، فكان يجب أن تكون لدينا اليد العليا كما كنا منذ عدة قرون أرضية. جهزنا أنفسنا للانتقال

بالجيوش وكل قوتنا، لكن هاجمتنا العشائر الأخرى، وأصابت طلقة طائشة جهاز الانتقال، فلم ننتقل إلى كوكب آخر غير كوكبنا. لقد انتقلنا إلى بعد آخر وكوكب آخر، فوجدنا أنفسنا هنا على كوكب الأرض".

انتقلنا لوقت أخر، كانت الجيوش تجهز من نفسها. ولكن كان هناك شيء ما خاطئ؛ لقد كانت كل أسلحتهم ميتة تمامًا لا تريد الإطلاق.

أكمل كلامه قائلاً: "نتيجة لانتقالنا لبعد أخر، توقفت معظم الأجهزة التي معنا عن العمل، ففكر جدي الأكبر الذي كان عبقريًا للغاية في المكان المناسب للتمركز فيه، فاختار أن نصنع القاعدة الأولى لنا تحت الأرض؛ حتى نستغل كل شيء موجود فيه، ونقدر على تسخير كل شيء في صالحنا نحن، من معادن ونباتات وحيوانات، وحتى الجثث البشرية التي تلقونها في تلك الحفر المظلمة، التي هي أفضل مصدر لنا منكم"

انتقلنا لمكان آخر، ورأيت أحد تلك الكائنات يمسك بآلة كبيرة نسبيًا، وضعها على الرمال، وتحركت لأسفل واختفت، ثم تكونت درجات لأسفل، ونظرت لأجد أكبر مدينة رأيتها في حياتي موجودة أسفل الرمال.

انتقلنا لعدة أماكن وأزمنة، رأيت فيها التجارب التي يقوم بها الرماديون على البشر، واستخدامهم للسحر ومحاولتهم لإتقان كل الأسلحة الخاصة بكوكب الأرض؛ من الخنجر حتى الأسلحة

النارية.

أكمل كلامه: "تعلمنا علمكم في ما يقل عن عام. كل علمكم أصبح في ذاكرتنا في أقل من عام، وأسلحتكم أصبحنا أسيادًا فيها، وأصبحنا آلهة في عدة مدن. لقد كانوا يقدمون لنا قرابين بشرية ابتغاء مباركتنا وحمايتنا لهم، وذلك ساعد على نشر جيوشنا في كل مكان في العالم، وأهمهم كان جيش الساحرات، الذي كانت تقوده الأنثى الوحيدة التي نجت من عالمنا"

بعد ذلك مررنا بعدة مشاهد توضح كيف أن البشر كانوا يقفون ليتصدوا لهم. ننتصر أحيانًا وننهزم أحيانًا. وفي أماكن غريبة حتى أنني قد رأيت المحارب وهو يقاتل بكل شجاعة دفاعًا عن مدينته ولكن تم الغدر به. كان بقية المحاربين يتقاتلون في وسط المياه، أو في وسط الفضاء. وكل مرة يقاتل فيها (ألياس) هذا ينتصر، ويضع يديه على رأس خصمه ليسحب طاقته، وتكبر يداه أكثر فأكثر. يبدو أنه يكتسب طاقة كبيرة عظيمة من قتلاه. بالفعل في كل مرة أراه أجد يديه ضخمتين للغاية.

أكمل في حدة: "كنا بالفعل نجهز لحرب عالمية أخرى في بداية القرن الجديد؛ حتى نحكم كوكبكم المليء بالموارد المفيدة لنا، ولتعود العمالقة إلى الأرض من جديد لتحكم مجددًا.. ولكن جاء شخص أحمق دمر لنا قاعدتنا الأساسية، التي كانت محورًا لكل خططنا وقوتنا. عشر سنوات.. عشر سنوات ونحن نصلح في تلك القاعدة.. عشر سنوات قضت تمامًا على كل مخططاتنا"

وفي النهاية جاء المشهد على منزلنا. تسارعت ضربات قلبي.
أبي يقف متحفزًا، ويمسك في يده أحد أسلحة الرماديين. تصدى لهم وقتل الكثير منهم، ولكن الأوغاد هاجموه من الخلف، تكالبوا عليه. ودخل المكان شيطاني الخاص (ألياس)، وأزاح القفازات عن يديه، ووضعها على جبهته. وأبي ينظر له مرفوع الرأس، وبشجاعة لا مثيل لها. وعندما وضع يديه على رأسه، تحول أبي إلى مومياء عفنة متآكلة. وكالعادة سحب طاقته، وازداد قوة، فركل المومياء فتحولت لرماد.
دخلنا مكانًا مليئًا بالرماديين قصار القامة، ويبدو مدينة واسعة للغاية. ثم قال: "حسنًا.. أعتقد أنك عرفت القصة كاملة. لم يعد هناك أي أعذار. فلتستسلم لمصيرك، ولتمت بهدوء"
الدموع تتساقط من عيني في صمت.
: "هذا قدرك من قبل أن تولد تقريبًا"
مسحت دموعي، ثم جاءتني فكرة مجنونة عندما ذهب -على حسب كلماته- ليختار سلاحًا ما ليليق بقتلي. أثناء مرور المشاهد أمامي، وجدت أكثر من مرة بشريًا واحدًا يقاتل رماديًا واحدًا، وغالبًا ما يكون قائدهم. منهم من أمسك بسيف، ومنهم من أمسك بفأس، ومنهم من أمسك بسلاح ناري. وهذا معناه أنني أستطيع أن أتحدى أحدهم للقتال، ويتم تحديد جائزة للفائز، ولا يتدخل أي شخص سواء بشري أو رمادي. وأبي كان استثناء لتلك القاعدة؛ لأن أبي جعلهم يخسرون كثيرًا، لذلك كان يجب أن

يُقتل. لا أعرف ولكن أملي الوحيد أنه إن قُتِلتُ سأكون شهيدًا، وان ظللت حيًا سأكون أكثر إنسان منتصر في العالم. عندما أتى كان يمسك بسيف طويل وحاد، ونظر لي في استمتاع قائلاً: "حسنًا.. يجب أن تنتهي تلك القصة هنا والآن. أنت ووالدك جعلتمونا نخسر الكثير جدًا".

رفع السيف، وأنا أحدد قراري، وعندما اقترب السيف من رقبتي قلت له في هدوء: "أنا أتحداك في مبارزة"

كما توقعت توقف السيف وأعاده إلى جانبه، وقال: "هل فقدت عقلك!؟ لا أحد يقدر على قتلي حتى أعتى وأقوى محاربي العالم. أنا هنا منذ عشرات السنين، ولم يقدر أحد على خدشي حتى، وتأتي الآن لتخبرني بأنك تريد أن تتحداني. لن تصمد أمامي أكثر من لحظات"

- "ولكني تحديتك، ويجب عليك أن تقبل التحدي"

انفتح جزء كبير في حائط أمامي، ليعرض عليّ أقوى وأكثر أنواع أسلحة خُلِقت في التاريخ. فقررت أن أثق بخنجري.

نظر لي في ازدراء: "حسنًا سأختار أنا المكان الذي سوف نتقاتل فيه".

أمسكت الخنجر بكل قوتي، ونظر لي في سخرية.

وانتقلنا.. انتقلنا إلى أخر مكان أود أن أنتقل إليه.

منزلي!

نظرت حولي ببؤس شديد. ألن ينته هذا الأمر أبدًا!؟

المكان لم يتغير على الإطلاق. حتى رؤيتي للأشياء لم تتغير.
نظرت له، وهو مازال يبتسم تلك الابتسامة الساخرة.
: "حسنًا.. هنا. هل سيكون هناك مكان أفضل من منزلك لأقتلك فيه!؟"
صرخت فيه وهاجمته، وتلاحم نصل سيفه مع خنجريَ بصوت عال.
دفعني للخلف، فركضت نحوه بكل قوتي. حاولت أن أطعنه فتفاداني.
ركلني بقدمه، فسقطتُ، فضحك بصوت جعلني أرتجف. وقفت سريعًا وهاجمته مجددًا، فتفاداني مجددًا وجرحني في ظهري.
لهثت في عنف، وسيطر الغضب على جوارحي، فهاجمته كالمجنون. هاجمته كالشخص الذي لم يعد لديه أي شيء ليخسره.
هاجمته من كل جهاته؛ من يمينه فتفاداني بصعوبة، فأطحت بسيفه، فتمسك به بصعوبة بالغة حتى لا يسقط.
لم أنتظر حتى يستعيد قوته فهاجمته مجددًا، فتراجع للخلف ورفع يده أمام عينيه، وتمتم بعدة كلمات، فعادت الرؤية بالألوان لعيني مجددًا.
طوحت بالخنجرين في كل مكان؛ لعلني أصيبه، ولكن كل ما كان يعانق نصلي هو الهواء.
صرخت بصوتي المبحوح من كثرة الغضب، ولكنه لم يهاجمني.

مر الكثير من الوقت بالنسبة لمعركة ستحدد من سيفوز بالجائزة الكبرى، سواء كانت تلك الجائزة (يارا)، أم بقاء القاعدة الأقوى للرماديين ونهاية العالم بعد فترة.

ذهب الألم من عيني، وفتحتها ببطء، فعادت رؤيتي على مشهد لعين لن أنساه طوال عمري.

(ألياس) كان يريد أن أحظى برؤيتي الطبيعية مجددًا؛ حتى أرى هذا المشهد بكل تفاصيله.

لقد كان أبي!

بطل شجاع لا يهمه أي شيء على الإطلاق، وشامخ عظيم يقف في وسط أعداد كبيرة من الرماديين، المتجمعين حوله على هيئة دائرة.

لقد كان يمسك بأحد الأسلحة الحادة التي كانوا يستخدمونها قديمًا في المعارك. نظر إليهم وابتسم. ثم نظر إلى (ألياس).

: "لقد انتظرتكم كثيرًا. ولم أعرف أبدًا أنني بتلك الأهمية لدرجة أن تأتي أنت بنفسك لتراني".

نظر له (ألياس) في غضب، ثم أمر جنوده بالهجوم.

وهاجمت الجنود.. هاجمتني وهاجمته.

أمسكت بسيفي وظللت أهاجمهم بكل قوتي، والدموع تتساقط من عينيّ وأنا أرى أبي يقاتلهم، كأنه (زيوس) في معركته الأخيرة مع (بلوتو).

أعدادهم بدت وكأنها لانهائية، وكأن قاعدتهم كانت تحت منزلنا

بالضبط.
لم أشعر باليأس، بل كنت أشعر بالقوة والغضب؛ لأنني كنت أقاتل مع أبي.
والغريب أن نصلي عندما يصطدم بأحدهم، يتحول إلى رماد بسرعة شديدة.
كنت أبحث عن (ألياس) بعيني وأنا أقاتل، فوجدته يقترب من ظهر أبي وهو يقاتل الرماديين الموجودين أمامه.
حاولت أن أقترب منه بصعوبة شديدة حتى أنقذ أبي، فلم أشعر بـ(ألياس) الحقيقي وهو يقترب مني ببطء حتى يهاجمني.
كل هذا وعيني لم تتحرك من على أبي، الذي أعرف أنني لن أستطيع أن أنقذه.
أخرج (ألياس) المزيف سيفًا من جعبته، ثم ضرب ركبة أبي من الخلف، فسقط، وشعرتُ أنا بنفس الضربة في نفس المكان تقريبًا، وسقطتُ أنا أيضًا.
التفتُّ خلفي بصعوبة، ونظرت له، فركلني لأسقط بجانب أبي الجالس على ركبة واحدة، وسقطت أسلحتي بجانبي.
حاولت أن أقف وأحارب فلم أقدر، فجلست أنا أيضًا على ركبة واحدة.
ونظرت لأبي، الذي حاول الرماديون أن يكبلوا يديه، فظننت أنه يبتسم لي ليطمئنني. رفعت رأسي لأعلى، لأجد (ألياس) الحقيقي يقف أمامي، و(ألياس) المزيف الذي يقف أمام أبي.

ابتسم لي في سخرية، وقال: "بنفس الطريقة، وفي نفس المكان؛ حتى يظل انتقامي محفورًا للأبد على جدران هذا المنزل"

خلع قفازيه، وقرَّب يديه من رأسي. ونفس اللحظة كانت تتكرر بحذافيرها بجانبي أمام أبي.

فابتسمت. "نعم أنت محق. سيظل هذا المشهد محفورًا للأبد على جدران هذا المنزل".

أمسكت بالخنجر بكل قوتي، ورفعته من أسفل لأعلى بسرعة شديدة، لأمزق كفيّ (ألياس) تمامًا. فصرخ صرخة ترددت عبر العالم بأكمله، وتشققت جدران المنزل بسببها.

وسقط أرضًا، ويداه تنزفان دمًا أسود، وهو يصرخ بصوت فظيع.

لم أعطه الفرصة، أمسكت بالخنجر الثاني وقفزت لأُطير رقبته من فوق جسده، بضربة واحدة من الخنجرين.

لم يصرخ. سقط أرضًا ولم يُصدِر أي صوت!

وشعرت بأن النهاية قد كُتِبت، فألقيت بنفسي أنا وأسلحتي أرضًا. تنهدتُ وأغمضت عينيّ وحاولت أن أهدأ، ولكن شيئًا ما خاطئ.. شيء ما ليس على ما يرام.

هناك صوت غريب غير مفهوم أسمعه يأتي من حولي.

أمسكت بالخنجرين، وفتحت عيني، لأجد الهول أمامي يتكون في هدوء.

لم يكن له وصف محدد.
لقد كان الخوف مجسدًا!!
أحيانًا أراه كظل أسود يبتلع كل شيء من حوله، وأحيانًا أراه كغول عملاق لم يقدر عقل القدامى على تخيله، وأحيانًا أراه كإحدى تلك التماثيل التي رأيتها في كوكبهم.
(ألياس) لم يكن مجرد رمادي آخر سيُقتل على يد شخص تقليدي مثلي.
لقد كان قائد كل مذبحة حدثت في تاريخ البشر، ولم يُعرف من فعلها.
لقد كان هو الشر الخام الذي أخذ عهدًا على نفسه بأن يكون سفير الشياطين في الأرض.
لقد جاء ليبقى.. جاء ليحطم آمال البشر، ويتغذى على خوفهم، ويعيش على يأسهم.
عندما تحديته ظننت أنني سأقدر على هزمه بالخنجرين، وهو قبل التحدي لأنه يعلم أنني لن أكلفه سوى عدة دقائق سيستمتع فيها بقتالي، على اعتقاد أنني لن أصمد أمامه.
شعرت بضآلتي وضعفي أمامه عندما استقر على شكل.
كان عملاقًا.. كان أطول من طول جسده الطبيعي.
أما عن حجمه، فصار عريضًا وفوق جسده ثعبان ليس له أعين يتحرك على الدوام.
وجهه مشوَّه، وأنيابه وأسنانه خارجة تمامًا عن فمه، ولا يملك

أي شفاه. عيناه تشعان بلون أحمر قان، وتتساقط عدة شعيرات من فوق رأسه، ليبدو كرمادي أصيل بشكل جعلني أشتاق لشكل (ألياس) القديم.

والأفظع أنه يملك أربعة أذرع!

اقشعر جسدي وأنا أنظر إليه.

حاول أن يرسم ابتسامة ساخرة على وجهه، فشعرت بأنني ميت لا محالة.

فرد ذراعيه، فظهر سيفان عملاقان من العدم ليمسك بهما.

لم أنتظر؛ هاجمته سريعًا، والعجيب أنه لم يتصد لضربتي التي اتجهت مباشرةً إلى مكان القلب.

غاص النصل للداخل، ونفذ من الناحية الأخرى.

زمجر في وحشية، وأمسك الخنجر بإحدى أذرعه، فتحول إلى رماد، ووضع أخرى فوق الجرح، فتحرك الثعبان سريعًا إلى مكان الجرح وغطّاه تمامًا حتى التئم. زمجر مجددًا ببطء وأعطاني سيفًا، ثم ركلني للخلف، فصمدت وهاجمت.

تعانقت سيوفنا!

وفي تلك المرة لم أقدر على مجاراته.

يهاجم بذراع، ويضرب بذراع، ويمزق بذراع، ويحاول أن يجعل ذراعه الرابعة التي تحيل كل شيء إلى رماد تصل إليّ.

هاجمني بسيفه فصددت بصعوبة، فهاجمني بمخالبه فسالت الدماء من كتفي. صرخت وهاجمته، فتفاداني بخفة، ثم هاجمني

بذراعه الثالثة بلكمة قوية أطارتني للخلف، ولكنني وقفت سريعًا متغلبًا على ألمي.
وبعد ذلك إعصار سريع وحاسم من الهجمات التي لم أقدر على صدها. وفي النهاية تلقيت قبضة عملاقة على وجهي، فسقطتُ ولم أقدر على الوقوف.
حاولت أن أحسب خسائري سريعًا.
سقطت العدسة اليمنى من نظارتي، والدماء تخرج من كتفي، وجرحت في رأسي. هذا بغض النظر عن ساقي المجروحة سابقًا.
إنها النهاية! أعرف هذا جيدًا!
الألم يمزقني، واليأس جعلني أتقبل مصيري في هدوء.
استندتُ على سيفي، ثم وقفت بصعوبة، وهذه المرة أعرف أنها الرقصة الأخيرة.
نظرت إليه، فوجدت هذا الثعبان يتحرك بسرعة على جسد (ألياس).
نظرت إليه، وراهنت بآخر شيء أملكه على حل أخير بائس، لا أعرف هل سيفيد أم لا.
ظهرت بعض القوة والشجاعة بداخلي، وهاجمت مجددًا ولكن في تلك المرة كان الهدف أمام عيني تمامًا.
يهاجم وأصد.. يركل فأتفادى.. يجرحني بمخالبه مجددًا فأصرخ من الألم. أجمع شتات نفسي، وأتغلب على الألم ثم أهاجم.

يتصدى بالسيف فأركله.
ولحسن حظي جاءت ركلتي على ذيل الثعبان وهو يمر، فرأيت (ألياس) يتراجع، وبدا على عينيه بعض الألم.
فتشجعت أكثر فأكثر، وبدأت أجعل هجومي أشمل وأدق. فزاد غضبه وجرحني أكثر، ولكن لم يعد لدي أي شيء لأخسره.
وجاءت فكرة جديدة في عقلي، وهي التخلص من يديه، حتى أقدر على تنفيذ خطتي الأصلية.
هاجمني بسيفه، فضربت كف يده لينفصل ويسقط.
يهاجمني بيده الأخرى، فأتفاداها بصعوبة، وأقطع كفه الثانية.
يهاجمني بيده الثالثة فتصيبني، فلا أستطع أن أقطعها، فاخترقها سيفي وخلَّفت الضربة فجوة خالية عملاقة تتوسط الكف.
حاول أن يصيبني بيده الأخيرة، التي أنا أعرف أنها لو أصابتني سأتحول لرماد.
فأخرجت سيفي من يده، وأغمدته في بطنه وأخرجته سريعًا، فابتعد عني وكأنه يهرب، وقفز من نافذة المنزل إلى العدم فقفزت خلفه. وجدته جالسًا على ركبتيه ينظر إلى أعلى وكأنه يتلو صلاته الأخيرة.
سمعته وهو يقول: "لقد تحققت النبوءة! أنا على وشك الرحيل! لقد حان وقتكم يا عمالقة الزمان!"
ارتجفتْ السماء ولم أدر ما الذي عليّ فعله..
قال دون أن ينظر إلي: "أهنئك على قتالك.. لقد جلبت الى

الأرض النهاية التي كنا نحلم بها". شعرت بالغضب فضربت الثعبان بالخنجر وثبتَّه إلى الصدر، وأمسكت بالسيف وأخذت نفسًا عميقًا، ثم أطرت رقبته مجددًا. سمعت الصرخة التي ترددت عبر العالم بأكمله.

فقلت بكل هدوء: "من أجلك يا أبي"

ليتحول هذه المرة إلى رماد. وفقدت الوعي للمرة الأخيرة.

(16)

عندما فتحت عيني، وجدت نفسي في غرفتي.
تلك المرة حقيقة للغاية؛ لأنني مازلت أشعر بتلك الجراح التي في جسدي، ولكن بشكل ما تم تضميدها.
استحممت، ونظرت إلى جسدي كاملاً من خلال المرآة، لأجد أنه لم يتبق فيه أي قطعة سليمة. ارتديت ملابس جديدة، وخرجت من المنزل الذي تشققت جدرانه.
وظللت أعرج على قدمي وأنا أنظر للناس.
إنهم للأسف سيعودون. ليس الآن بالتأكيد ولكنهم سيعودون، ولكنني لن أكون هنا لأتصدى لهم. لقد انتهى دوري إلى هذا الحد. أو على الأقل سأكون جاهزًا باعتباري أعرف كيف يهاجمون.
وأثناء تجوالي في آخر مكان مشيت فيه سويًا أنا و(يارا)، رأيتها صدفةً!
سمراء قليلاً، يتطاير شعرها من أقل نسمة هواء. جميلة كعهدي بها، وكأنها قد جاءت الدنيا للتو.
كانت تجلس في مكاننا المعتاد، وتحدق في الفراغ من دون أي تعبير على وجهها، وكأنها تفكر في شيء ما. شعرت بقلبي ينشد لحنًا خاصًا به، وقررت أن أقترب منها، ثم آثرتُ الابتعاد.
ابتسمتُ، وألقيتُ نظرة أخيرة ثم رحلتُ.

وبعد ثلاث أيام من الجلوس في الظلام وحدي، أستمتع بمجرد استلقائي على سريري، سمعت دقات خائفة على باب منزلي.
ثم بعد دقيقة تقريبًا دقات أخرى، ولكن تلك المرة كانت واثقة.
فتحت الباب، لأجد الفتاة التي حاربت قائد جيوش الرماديين وتغلبت عليه من أجلها.
(يارا)..
طالت نظراتنا. شيء ما جعلنا ننظر إلى بعضنا البعض.
نظرات مشتاقة جعلت قلبي يدق بشكل طبيعي للمرة الأولى على الإطلاق.
تفحصتها بأكملها، وكأنه سيأتي يوم وستنفذ مني النظرات، فاستغللت الموقف. كل هذا أمام عينيها المليئتين بالدموع.
ابتسمت، ومددت يدي إليها، فقفزت لتعانقني. وطال عناقنا لأكثر من دقيقة.
دقيقة،عرفت من خلالها أن كل خلية في جسدي تملك إرادة حرة مستقلة بها، وأن كل جزء من جسدي يرفض أن يتركها.
أنفاسها الحارة تلفح رقبتي، ودموعها تبلل كتفي، والغريب أن أحدنا لم ينطق بأي كلمة.
كل ما نريده كان إطفاء نيران الاشتياق. لقد اشتقت إليها لدرجة كفيلة بإشعال جحيم كامل في صدري.
أخذتْ نفسًا عميقًا، ثم مسحتْ دموعها، ونظرت لي وابتسمت.
أخبرتني بأنها لم تر أحدًا في وسامتي، وأنا الذي لم يرمني

أحدهم بتهمة الجمال من قبل.
أخبرتني بأنها عرفت كل شيء، وأنني أقوى رجال الدنيا، وأنا الذي لم يعد في جسدي جزءًا خاليًا من الكدمات والجروح.
قلت: "ولكنني صرت منهارًا نفسيًا. لم يعد بداخلي ما يصلح لإظهار حبي"
- "أحبك"
- "تحبين شخصًا صار عقله ممتلئًا بالكوابيس، كما صار جسده ممتلئًا بالجروح!؟"
- "نعم.. وعلى استعداد تام أن أكمل ما تبقى من عمري بجانبك، ولكن على شرط أن تحكي لي كل ليلة كيف تغلبت عليهم جميعًا، وكيف صرت بطلي الأسطوري"
ابتسمتْ مجددًا. سمراء قليلاً، يتطاير شعرها من أقل نسمة هواء، تخبرني بأنني ملكها المتوج..

ولكن هناك خطبًا ما..
شيء ما ليس على ما يرام..
البشر يتحركون من حولي، و(يارا) تنظر لي وتبتسم، وتخبرني بأنها ستظل تحبني حتى النهاية..
رؤيتي تهتز كشاشة تليفزيون عتيق يفارق الحياة وهو يقاوم..
العالم ينهار، و(يارا) والبشر تحولوا لرماد يندثر مع الريح..
وببطء عادت الرؤية للأبيض والأسود من جديد، ووجدت نفسي

أقف وحدي في المكان الذي قابلت فيه (المندوب) من قبل، أمسك بالخنجر والسيف، وأمامي جيوش الرماديين ينظرون إليَ وهم يصرخون في غضب، والعالم في خلفية الجيش يحترق والنيران تتصاعد إلى عنان السماء، وأرى العمالقة وهي تهبط من أعلى.
من المفترض أن قتل (ألياس) ينهي النهاية التي كان يحضرها الرماديين للأرض! ولكن من يهتم!؟ لقد جاءت النهاية، وأنا الآن أقف في طريقها.
من ظننت نفسي حتى أتحداهم!؟
تمسكت بالخنجر والسيف بكل قوتي وتحفزت، النهاية محسومة مسبقًا..
طعنة لكل رمادي، وبعدها سأقص على العالم ما حدث.

تمت